

# الدلائل القرآنية على توحيد الربوبية

د. أحمد بن عبد الله الفنيان

أكاديمي سعودي، أستاذ مشارك بقسم العقيدة بالجامعة الإسلامية



## ملخص البحث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد

فهذا ملخص للبحث المعنون بـ «الدلائل القرآنية على توحيد الربوبية».

يهدف البحث إلى ذكر أهمية معرفة دلائل الربوبية والتي فطر الله العباد على الإقرار بها ، وقد ذكر الله جل جلاله أنواعا من هذه الدلائل مختلفة وبأساليب متنوعة تجعل المؤمن يزداد إيمانا والجاحد يرجع إلى فطرته ويقر بوجوده بل وبوجوب عبادته .

وقد قسم الباحث البحث إلى مقدمة ذكر فيها أهمية الموضوع وخطته وأتبعه بتمهيد تحدث فيه عن معنى الدلائل وتعريفاتها وكذا تعريفات أهل العلم لتوحيد الربوبية ثم دراسة بين فيها أهمية دلائل توحيد الربوبية . ثم شرع الباحث بذكر الدلائل الواردة في كتاب الله جل وعلا والتي تتلخص في خمسة أدلة هي :

الأول: دليل الفطرة وفيه بيان أن العباد أقروا بربهم جل وعلا بما جبلوا عليه من معرفة بفطرتهم السالمة من الموانع ، فكان ذلك دليلا على وجوده ووجوب عبادته .

أما الدليل الثاني: فتحدث فيه الباحث عن دليل الخلق وهو معرفة العباد لربهم بالاستدلال بالمخلوق على الخالق مما لا يدع مجالاً للشك في وجوده ومن ثم وجوب عبادته ، ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ ﴾ (٣٥) أَمْ خُلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ [الطور: ٣٦].

أما الدليل الثالث فهو دليل العناية ويقصد به الإتقان والإحكام لهذه المخلوقات الذي بهر العقول وجذب النفوس الملحدة إلى التسليم بوجوده وتفرد به بالربوبية والألوهية ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾.

والدليل الرابع: فهو دليل الضرورة الملحة التي يجدها كل إنسان من انجذاب الروح إلى التعلق به واللجوء إليه وخصوصاً وقت الاضطرار ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خُلَفَاءَ أَرْضِ أَعْلَىٰ لَهُمْ اللَّهُ﴾.

والدليل الخامس: دليل معرفة الله بالله ويقصد به الاستدلال بأفعال الله وصفاته عليه وعلى وجوده ووجوب عبادته وهو دليل الخواص كما ساهم بعضهم .

والدليل السادس: إجماع الأمم الذي شهد به القاصي والداني وأجمع عليه من في الأرض إلا من شذ .

أما السابع: فهو دليل عقلي يقصد منه الإقرار بوحدانية الله في ألوهيته وربوبيته وهذا الدليل مبني على أنه يمتنع شرعاً وعقلاً وجود فاعلين تامي القدرة والإرادة في مفعول واحد هما عليه تاما القدرة والإرادة المبحث السابع.

وختم الباحث بحثه بأهم النتائج التي توصل إليها في البحث .

**Abstract***of the treatise entitled***Qurānic Arguments for Unifying the Lordship**

*Praise be to Allah and peace and blessings be upon the Messenger of Allah, and after:*

*The research aims to mention the importance of knowing the Arguments of the Lordship, which, God created mankind to recognize. Allah, Almighty, has mentioned different types of these Arguments, and in different ways, that make a believer increasing in his belief. The disbeliever returns to his nature and acknowledges His existence and even the necessity of His worship.*

*The researcher has divided the treatise into a preface in which he mentioned the importance of the subject and its plan, following it with a foreword, in which talked about the meaning of the Arguments, and their definitions, as well as definitions of the scholars to Tawheed al Ruboobiyah (unifying the lordship), then the study, in which, he mentioned the importance of Arguments of unifying the lordship, then started in mentioning the Arguments came in the Book of Allah, the exalted, which sums up in five kinds, that are:*

*Argument of Nature; and the statement that mankind admitted to their Lord Almighty, by the knowledge of their natures they were created upon, which were safe of inhibitions, so that was an evidence to His existence and the necessity of His worship.*

*The second argument: the researcher spoke of the evidence of creation. That mankind acknowledges to their Lord inferring on the Creator from His creature. That leaves no way for doubt in his existence and then in necessity of His worship*

*The third argument: evidence of design and care, which means the perfection and precision for these creatures that dazzle the minds and attract the souls of atheists to admit to His existence and singularity in Lordship and Worship.*

*The fourth argument: evidence of natural pressing necessity, that every human finds an attraction of soul to*

*adhare Him and seek shelter in Him, specially at the time of an emergency.*

*The fifth argument: evidence of knowing God by Himself. That means to infer from the actions of God and His attributes on Him, and on His existence and necessity of His worship. It is an evidence for special people as some of them named it.*

*The sixth argument: evidence of Nations' Consensus, which all people witnessed to, and the entire inhabitants on the earth agreed with, except who deviated from it.*

*The seventh argument: retional evidence, which means recognition of oneness of Allah in His Lordship and Worship. This evidence is based on the statement that its very unlikely, religiously and rationally, for an object to be existed by two sufficient reasons.*

*The researcher concluded the research with main results, he reached.*

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا  
ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،  
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،  
صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهذه دراسة موجزة لدلائل توحيد الربوبية، اقتصر فيها على ما جاء في  
كتاب الله جل ثناؤه من بيان تفرد بالربوبية معرضاً عن غيره من الأدلة التي  
استعملها المتكلمون وغيرهم، لما في كتاب الله من الغنية في ذلك والحجة  
البالغة على وجوب توحيده وصرف العبودية له وحده.

### خطة البحث

قسم الباحث البحث إلى مقدمة ذكر فيها أهمية الموضوع وخطته وتمهيد  
وسبعة مباحث:

المقدمة: وتشمل على الخطة وأهمية البحث والدراسات السابقة.

التمهيد: وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: في تعريف الدلائل لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: تعريف توحيد الربوبية في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثالث: أهمية دلائل توحيد الربوبية.

المباحث: وتتضمن دراسة كل دليل من أدلة الربوبية وبيانه كالتالي:

المبحث الأول: دليل الفطرة.

المبحث الثاني: دليل الخلق.

المبحث الثالث: دليل العناية.

المبحث الرابع: دليل الضرورة والاضطرار.

المبحث الخامس: دليل معرفة الله بالله.

المبحث السادس: دليل إجماع الأمم.

المبحث السابع: دليل التمانع.

### أهمية البحث:

قال شيخ الإسلام رَحْمَةُ اللَّهِ: «دلائل الربوبية فيها الظاهر البين لكل أحد كالحوادث المشهودة؛ مثل خلق الحيوان والنبات والسحاب وإنزال المطر وغير ذلك، وفيها ما يختص به من عرفه؛ مثل دقائق التشريح ومقادير الكواكب وحركاتها وغير ذلك، فإن الخلق كلهم محتاجون إلى الإقرار بالخالق والإقرار برسله وما اشتدت الحاجة إليه في الدين والدنيا، فإن الله يجود به على عباده جودا عاما ميسرا، فلما كانت حاجتهم إلى النفس أكثر من حاجتهم إلى الماء وحاجتهم إلى الماء أكثر من حاجتهم إلى الأكل كان سبحانه قد جاء بالهواء جودا عاما في كل مكان وزمان لضرورة الحيوان إليه، ثم الماء دونه ولكنه يوجد أكثر مما يوجد القوت وأيسر، لأن الحاجة إليه أشد، فكذلك دلائل الربوبية حاجة الخلق إليها في دينهم أشد الحاجات ثم دلائل النبوة، فلهذا يسرها الله وسهلها أكثر مما لا يحتاج إليه العامة؛ مثل تماثل الأجسام واختلافها وبقاء الأعراض أو فنائها وثبوت



الجوهر الفرد أو انتفاؤه، ومثل مسائل المستحاضة وفوات الحج وفساده ونحو ذلك مما يتكلم فيه بعض العلماء»<sup>(١)</sup>.

ويمكن أن نلخص أهمية البحث في النقاط التالية:

❖ أن موضوع هذا البحث من أهم مباحث توحيد الربوبية.

❖ أن فيه إثباتاً لتوحيد العبادة ولزومه على كل من أقرب به.

❖ أن في دراسة هذه الدلائل ربطاً للعبد بربه جل وعلا ودعوة للتفكير في

آلائه ونعمه وعظمة مخلوقاته الدالة على عظمته جل شأنه.

❖ أن دراسة هذه الدلائل اتباع لمنهج القرآن الكريم الذي كثيراً ما يذكر تعالى

دلائل ربوبيته الدالة على وجوب عبادته. وسيأتي مزيد بيان في المطلب الثالث.

### منهج البحث:

❖ سلك الباحث منهجاً في كتابة هذا البحث يتلخص في النقاط التالية:

❖ جمع المادة العلمية وتنزيلها على كل مبحث.

❖ العناية بالمصطلحات وتعريفها لغة واصطلاحاً.

❖ حاول الباحث حصر الدلائل الدالة على ربوبية الله جل وعلا ووجوب

عبادته حسب ورودها في القرآن وعرضها عرضاً علمياً.

❖ التزم الباحث الاقتصار على المهم في هذا الباب وذكر ما يبين المقصود

وفق الدلائل الشرعية الواردة في كتاب الله جل وعلا، والاكتفاء بالكليات

منها معرضاً عن الطرق الكلامية التي سلكها المتكلمون في إثبات وجود الله

جل وعلا استغناء بها في كتاب الله عن آراء الخلق.

(١) الجواب الصحيح ٥ / ٤٣٥ - ٤٣٦.

- ❖ عندما يعرض الدليل بأكثر من صيغة أو يكون متقارباً فإن الباحث يكتفي ببعضها ويعرض عن البعض الآخر.
- ❖ حرص الباحث على نقل أقوال أهل العلم فيما ذكره من مسائل بالقدر الذي يخدم البحث.
- ❖ توثيق النقول من مصادرها الأصلية.
- ❖ قام الباحث بعزو الآيات وتخريج الأحاديث من مظانها، وحرص على ذكر درجة الحديث من خلال نقل أقوال أهل العلم فيه إن لم يكن في الصحيحين أو أحدهما.
- ❖ ترجم الباحث لغير المشهورين عند المتخصصين من طلبة العلم.
- ❖ تذييل البحث بخاتمة تشمل على أهم النتائج، وفهارس للمصادر والمراجع وأخرى للموضوعات.

### الدراسات السابقة:

بعد البحث والتحري والتتبع لم يجد الباحث من خص هذا الموضوع بدراسة مستقلة مستفيضة.

## **التمهيد**

**وفيه ثلاثة مطالب:**

**المطلب الأول: في تعريف الدلائل لغة واصطلاحاً.**

**المطلب الثاني: تعريف توحيد الربوبية في اللغة والاصطلاح.**

**المطلب الثالث: أهمية دلائل ربوبية الله.**



## المطلب الأول: في تعريف الدلائل في اللغة والشرع

### أولاً: معنى الدليل في اللغة:

قال ابن فارس: «الدال واللام أصلان: أحدهما إبانة الشيء بأمانة تتعلمها، والآخر اضطراب في الشيء، فالأول قولهم: دلت فلاناً على الطريق، والدليل: الأمانة في الشيء»<sup>(١)</sup>.

وقال الجوهري: «الدليل ما يستدل به، والدليل: الدال. وقد دلّه على الطريق، يدلّه، دلالة، ودلالة، ودلولة، والفتح أعلى»<sup>(٢)</sup>.

وعلى هذا فإنه يمكن القول بأن الدليل في اللغة هو: إبانة الشيء بأمارته الدالة عليه وما يستدل ويسترد به.

### ثانياً: معنى الدليل في الشرع:

ورد لفظ الدليل وورد الفعل منه في مواضع من كتاب الله جل شأنه منها:

قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةٌ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتِهِ ﴾ [سبأ: ١٤].

وقال تعالى: ﴿ فَدَلَّتْهُمَا بِغُرُورٍ ﴾ [الأعراف: ٢٢].

وقال سبحانه: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾ [الفرقان: ٤٥].

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ: «ثم دللناكم أيها الناس، بنسخ الشمس إياه عند طلوعها عليه، أنه خلق من خلق ربكم، يوجد إذا شاء، ويفنيه إذا أراد»<sup>(٣)</sup>.

(١) معجم مقاييس اللغة ٢/٢٥٩. مادة دلل.

(٢) الصحاح ٤/١٦٩٨ وانظر: لسان العرب ١١/٢٤٨ - ٢٤٩.

(٣) تفسير الطبري ١٩/١٩.

وقال القرطبي: «فالشمس دليل، أي حجة وبرهان، وهو الذي يكشف المشكل ويوضحه»<sup>(١)</sup>.

وقال سبحانه: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ﴾ [القصص: ١٢]، وقال أيضاً: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تَجْرُقِ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ إِلِيمٍ﴾ [الصف: ١٠]، وقال أيضاً: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كُلٌّ مَزِقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٧].

وقد ورد الفعل منه في السنة كثيراً، ومن ذلك قول رسول الله ﷺ: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولاً أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم»<sup>(٢)</sup>.

فتبين بهذا أن معنى الدليل في الشرع باق على معناه في اللغة فهو المرشد والموصل إلى المطلوب.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «الدليل هو المرشد إلى المطلوب؛ وهو الموصل إلى المقصود... وهو ما يكون النظر الصحيح فيه موصلاً إلى علم، أو إلى اعتقاد راجح»<sup>(٣)</sup>.

ومن أهل الكلام من لا يسمي بالدليل إلا ما أوصل إلى العلم بوجود المدلول، أما ما يوصل النظر فيه إلى الاعتقاد الراجح فخصه بعضهم باسم الأمانة، والصحيح أن لا فرق، والنزاع نزاع اصطلاحى كما قرر ذلك

(١) تفسير القرطبي ٣٧/١٣.

(٢) رواه مسلم (ح ٥٤).

(٣) الرد على المنطقيين (١ / ١٦٥) وانظر: الجواب الصحيح - (٦ / ٥٠٣).

شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.<sup>(١)</sup>

«والضابط في الدليل أن يكون مستلزماً للمدلول، فكل ما كان مستلزماً لغيره أمكن أن يستدل به عليه إن كان التلازم من الطرفين أمكن أن يستدل بكل منهما على الآخر، فيستدل المستدل مما علمه منهما على الآخر الذي لم يعلمه. ثم إن كان اللزوم قطعياً كان الدليل قطعياً، وإن كان ظاهراً - وقد يتخلف - كان الدليل ظنياً»<sup>(٢)</sup>.

---

(١) الرد على المنطقيين (١ / ١٦٥).

(٢) المصدر نفسه.

## المطلب الثاني: تعريف توحيد الربوبية في اللغة والاصطلاح

### أولاً: تعريف التوحيد في اللغة

التوحيد في اللغة مأخوذ من الوَحْدَةِ. والانفراد<sup>(١)</sup> «الواو والحاء والذال: أصلٌ واحدٌ يدلُّ على الانفراد. من ذلك: الوحدة، وهو واحدٌ قبيلته: إذا لم يكن فيهم مثله. قال الشاعر:

يا واحدَ العُربِ الذي ما في الأنام له نظير

وَلَقَيْتُ الْقَوْمَ مَوْحَدَ مَوْحَدَ. وَلَقَيْتَهُ وَحْدَهُ.»<sup>(٢)</sup>.

«وَحْدَهُ وَأَحَدَهُ كَمَا يُقَالُ ثَنَاهُ وَثَلَّثَهُ. ورجل واحد ووحيد، أي منفرد. وتوحيد برأيه، تفرد به»<sup>(٣)</sup>. «وفلان واحد دهره، أي لا نظير له»<sup>(٤)</sup>

وقال ابن منظور رَحِمَهُ اللهُ: «التوحيد مصدر من وَحَّدَ يُوَحِّدُ توحيداً، إذا أفرده وجعله واحداً»<sup>(٥)</sup>

وبناء على هذا فالتوحيد مأخوذ من الوَحْدَةِ. والانفراد.

### ثانياً: تعريف توحيد الربوبية في الاصطلاح:

تعددت ألفاظ أهل العلم في تعريفهم لتوحيد الربوبية، وبالنظر إلى تلك

(١) انظر: كتاب العين مادة وحده ٢٨١ / ٣ والصحاح مادة ( وحده ) واللسان مادة وحده ٤٤٦ / ٣.

(٢) معجم مقاييس اللغة ٦ / ٩٠-٩١.

(٣) انظر: اللسان مادة وحده ٤٤٦ / ٣.

(٤) الصحاح مادة وحد ٥٤٧-٥٤٨.

(٥) لسان العرب مادة (وحد) ٣ / ٤٤٨.



التعريفات نجد أنها تدور حول أفراد الله سبحانه وتعالى بأفعاله، إلا أن البعض يتوسع في ضرب الأمثلة، وبعضهم يكتفي ببعضها، والبعض الآخر يكتفي بذكر مثال واحد فقط كما صنع شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في غير موضع من مؤلفاته، حيث عرّفه بقوله: «هو أفراد الله بالخلق» وكذا تلميذه ابن القيم رحمهما الله.

ومن هنا كان أجمع وأشمل تعريف لتوحيد الربوبية هو: أفراد الله بأفعاله، ويدخل في هذا جميع صفات الربوبية من الخلق والملك والتدبير والتصرف في جميع مخلوقاته، كما يدخل في هذا التعريف الإيمان بأقدار الله وقضائه.

## المطلب الثالث: أهمية دلائل ربوبية الله:

### تمهيد

معرفة الله سبحانه نوعان: عامة وهي معرفة إقرار بوجوده وربوبيته، وخاصة وهي معرفة شهود آلائه ونعمه وكمال محبته وإجلاله.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «معرفة الله نوعان:

الأول: معرفة إقرار وهي التي اشترك فيها الناس البر والفاجر والمطيع والعاصي.

والثاني: معرفة توجب الحياء منه والمحبة له وتعلق القلب به والشوق إلى لقائه وخشيته والإنابة إليه والأنس به والفرار من الخلق إليه، وهذه هي المعرفة الخالصة الجارية على ألسن القوم وتفاوتهم فيها لا يحصيه إلا الذي عرفهم بنفسه وكشف لقلوبهم من معرفته ما أخفاه عن سواهم. وكلُّ أشار إلى هذه المعرفة بحسب مقامه وما كشف له منها، وقد قال أعرف الخلق به: «لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»<sup>(١)</sup> وأخبر أنه سبحانه يفتح عليه يوم القيامة من محامده بما لا يحسنه الآن<sup>(٢)</sup>، ولهذا المعرفة بابان واسعان:

باب التفكير والتأمل في آيات القرآن كلها والفهم الخاص عن الله ورسوله.

والباب الثاني: التفكير في آياته المشهودة وتأمل حكمته فيها وقدرته ولطفه وإحسانه وعدله وقيامه بالقسط على خلقه. وجماع ذلك الفقه في معاني أسائه الحسنى وجلالها وكمالها وتفرده بذلك وتعلقها بالخلق والأمر، فيكون فقيها في

(١) رواه مسلم (ح ٤٨٦) والترمذي (٣٤٩٣) وغيرهما.

(٢) رواه البخاري (٤٧١٢) ومسلم (ح ٣٧١).

وأمره ونواهيه فقيها في قضائه وقدره فقيها في أسائه وصفاته، فقيها في الحكم الديني الشرعي، والحكم الكوني القدري وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم»<sup>(١)</sup>.

**ونخلص مما تقدم أن دلائل معرفة الله تكمن في أمرين:**

**أحدهما:** معرفة إقرار بوجوده وكمال ربوبيته وتمام هذه بالتفكر في آلائه وآثار ربوبيته. وهذه المعرفة يشترك فيها البر والفاجر إلا أن الخلق يتفاوتون فيها تفاوتاً بينا.

**والثاني:** معرفة تورث كمال عبوديته والخضوع والتذلل له، وتمامها بمعرفة وحيه ودينه والتبصر به.

ومن هذين القسمين تندرج دلائل عديدة لكن لا تخرج عن هذين الأمرين، إلا أن أغلب المشتغلين بالبحث عن دلائل الربوبية يدور بحثهم حول الأول، وهو الإقرار بوجوده وبعض صفات ربوبيته.

وفي هذه الوريقات سيكون محور الكلام حول هذين الأمرين مع ذكر بعض الأمثلة على هذين القسمين.

### **اعتراض وجوابه:**

قد يقول قائل: إن معرفة الله سبحانه وتعالى لا تحتاج إلى النظر والاستدلال، بل إنها حاصلة عند الأمم جميعهم، وهذا مما يبين أنه لا حاجة في سرد الأدلة على وجود الله، فالصغير والكبير، والجن والأنس، بل وجميع المخلوقات قد عرفت ربها، فما من شيء إلا وهو يسبح بحمد ربه، وما من شيء

(١) الفوائد ١ / ١٧٠.

إلا وقد انقاد لربه وأذعن. فلماذا تُعقد مثل هذه المباحث ويُشغل الناس بها؟.

فالجواب أن نقول:

نعم معرفة ربنا جل وعلا لا تحتاج لشحذ الأدلة الدالة على وجوده، فالله جل ذكره هو دليل على وجوده، وليس في الرسل من قال أول ما دعا إليه قومه: إنكم مأمورون بطلب معرفة الخالق، فانظروا واستدلوا حتى تعرفوه، فلم يكلفوا أولاً بنفس المعرفة، ولا بالأدلة الموصلة إلى المعرفة، إذ الأمم جميعاً قد أقرت به واعترفت بربوبيته، وقد قالت رسل الله لأقوامهم: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ [إبراهيم: ١٠] فنفت أن يكون في الله شك، وهو استفهام تقريرى يتضمن تقرير الأمم على ما هم مقرين به من أنه ليس في الله شك فهذا استفهام تقريرى، ومما يؤكد هذا أن القرآن لم يتوسع في ذلك، ولعل ذلك يرجع إلى عدة أمور؛ منها:

١. اتفاق الأمم على الإيمان به والإقرار بمضمونه.

٢. أنه أمر مسلّم، ولذا فإن نجد أن الله إن تكلم عن ربوبية ساقه على سبيل المسلمات ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١].

إلا أنه يمكن القول بأن أسباب دراسة دلائل الربوبية إنما جاءت مستنبطة من القرآن الكريم حيث سيق الكلام فيه لأغراض منها:

(١) تقرير عجز المعبودات من دون الله، عن شيء من خصائص الربوبية: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ ضَرْبَ مَثَلٍ فَاسْتَمِعُوا لَهُٓ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُٓ وَإِنْ يَسْلُبْنَاهُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَاسْتَغْنُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ﴾ [الحج: ٧٢] ما قدرُوا اللهَ حقَّ قدرهٖ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ [الحج: ٧٤].

(٢) الاحتجاج به على المشركين بوجوب الإيمان به وتوحيده في العبادة ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْمُونَ ﴾ (٨٤) ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٨٥) ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ (٨٦) ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِطُ ﴾ (٨٧) ﴿ [المؤمنون].

(٣) ذكره لصفات الربوبية، ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) ﴿ [الفاتحة] ﴿ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الزمر: ٦٢] ﴿ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١٧) ﴿ [الأنعام].

(٤) الاستهزاء بالمشركين الذين عبدوا معه غيره ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ (١٩١) ﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴾ (١٩٢) ﴿ [الأعراف] ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (١٧) ﴿ [النحل].

(٥) للفت التأمل والتذكر والتفكير في مخلوقات الله. ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (١٩١) ﴿ [آل عمران].

(٦) العبرة والعظة من فعل الله بالأمم السابقة ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (٤٦) ﴿ (١) [الحج].

(٧) أنها سبب لزيادة الإيمان، فالدليل المحسوس أقوى في التأثير من غيره، قال الله تعالى على لسان الخليل عليه السلام: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَٰئِمُ تُوْمِنُ ۗ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي ﴾ [البقرة: ٢٦٠]

(١) انظر: منهج شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في تقرير عقيدة التوحيد ٢٧٦ وما بعدها.

وقال عن موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

(٨) حاجة الناس في هذا الزمن لمعرفة هذا، لاسيما وأن موجة الإلحاد ما زالت موجودة.

(٩) أن كثيراً من المسلمين لا يفرق بين توحيد الربوبية والألوهية، لاسيما الصوفية الذين بالغوا في إثبات توحيد الربوبية.

(١٠) أن مجرد معرفة الله لا تستلزم كمال العلم به وبصفاته وأحكامه؛ بل قد يعرفه من لا يؤمن به بخلاف من علم به، فلا بد أن يكون شاكراً ذاكراً منيباً مخبتاً لربه جلّ جلاله.

**المبحث الأول: دليل الفطرة**

**المبحث الثاني: دليل الخلق**

**المبحث الثالث: دليل العناية**

**المبحث الرابع: دليل الضرورة والاضطرار**

**المبحث الخامس: دليل معرفة الله بالله**

**المبحث السادس: دليل إجماع الأمم**

**المبحث السابع: دليل التمانع**





## تمهيد

مما هو معلوم بالضرورة أن وحدانية الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته معلومة لكل عاقل سليم؛ بل إن إدراك ذلك قد جبل عليه كل الخلق إلا من شذ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «وحدانية الربوبية معلومة بالشريعة النبوية والفطرة الخلقية والضرورة العقلية، والقواطع النقلية واتفاق الأمم وغير ذلك من الدلائل». (١)

وقال: «كيف يطلب الدليل على من هو دليل على كل شيء، وتمثل بقول الشاعر:

وليس يصحّ في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرتجز بقول عامر بن الأكوخ:

والله لولا الله ما اهتدينا ولا صلينا ولا صلينا..» (٢)

فدلّ هذا على أن الله يُعرف بالله، ثم هناك أدلة تؤكد هذه المعرفة وتزيدها

والتي من أهمها:

- ١- الفطرة.
- ٢- الضرورة.
- ٣- العناية.
- ٤- الخلق والإيجاد.
- ٥- معرفة الله بالله.
- ٦- إجماع الأمم.
- ٧- دلالة الكتب المنزلة ومعجزات الأنبياء (٣).
- ٨- دليل التمانع.

وسأتناولها في المباحث التالية:

(١) مجموع الفتاوى ١٣ / ٣٠١.

(٢) رواه البخاري ٢٢ / ٤٥.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى ١٣ / ٣٠١ وانظر: نبذة في العقيدة الإسلامية لابن عثيمين ص ٧.

## المبحث الأول: دليل الفطرة.

### معنى الفطرة في اللغة:

قال الخليل: «وفطر الله الخلق، أي خلقهم، وابتدأ صنعة الأشياء، وهو فاطر السماوات والأرض، والفطرة التي طبعت عليها الخليقة من الدين، فطرهم الله على معرفته بربوبيته.. وانفطر الثوب وتفطر أي انشق، وتفطرت الجبال والأرض انصدعت»<sup>(١)</sup>.

وقال الجوهري: «والفِطْرَةُ بالكسر الخلقة»<sup>(٢)</sup>.

«والفِطْرَةُ: الجِبْلَةُ التي فطر الله تعالى عليها الخلق. ورُوي في الحديث: «كل مولود يولد على الفِطْرَةِ»<sup>(٣)</sup>

«الجِبْلَةُ بكسر تين وتثقل اللام و الطَّبِيعَةُ و الخَلِيقَةُ والغَرِيزَةُ بمعنى واحد و جِبْلَةُ الله على كذا من باب قتل فطره عليه»<sup>(٤)</sup>.

وبهذا يتبين أن معنى الفطرة في اللغة يدور معناه على الشق والابتداء والخلق والجبله والطبيعة. وقد ورد ذكر أغلب هذه المعاني في القرآن قال تعالى: ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ ﴾ [الشورى: ٥] والمقصود يتشققن وقال سبحانه: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَخَذُ وَإِلَّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الأنعام: ١٤]، وقوله ﴿ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الإسراء: ٥١]، والمعنى

(١) العين ٧/ ٤١٨.

(٢) الصحاح ٢/ ٧٨١، وانظر: العين ٧/ ٤١٧ - ٤١٨، لسان العرب ٥/ ٥٥ - ٥٨.

(٣) جمهرة اللغة ١/ ٤١٤.

(٤) المصباح المنير- العلمية ١/ ٩٠.

هنا الابتداء والخلق والإيجاد على غير مثال سابق. وقال سبحانه: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ [المزمل: ١٨] إشارة إلى قبولها ما اقتضاه خلقه وابداعه لها. <sup>(١)</sup>

ومن معان الفطرة أيضاً: السنة كما في الحديث: «خمس من الفطرة» <sup>(٢)</sup>.

### المراد بالفطرة في الاصطلاح الشرعي:

قال ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ في تعريف الفطرة: «هي الخلقة التي خلق الله عباده عليها وجعلهم مفطورين عليها وعلى محبة الخير وإيثاره وكراهية الشر ودفعه، وفطرهم حنفاء مستعدين لقبول الخير والإخلاص لله والتقرب إليه» <sup>(٣)</sup>

وقال القرطبي رحمه الله تعالى: «قال العلماء الفطرة هي الخلقة والهيئة التي في نفس الطفل، التي هي معدة، ومهيأة لأن يميز بها مصنوعات الله، ويستدل بها على ربه، ويعرف شرائعه ويؤمن به» <sup>(٤)</sup>

وقال أبو البقاء الكفوي: «الفطرة هي الصفة التي يتصف بها كل موجود في أول زمان خلقت» <sup>(٥)</sup>.

أما ما جاء في السنة: «كل مولود يولد على الفطرة» فالمراد به الإسلام. <sup>(٦)</sup>  
ومن هنا يتبين أن الإقرار بوجود الخالق أمر فطري فطر الخلق عليه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «الإقرار بالله والاعتراف به ثابت في الفطرة

(١) انظر: المفردات للأصبهاني ٥٧٥.

(٢) أخرجه البخاري (ح ٥٨٨٩) ومسلم (ح ٢٥٧). وقد تقدم تحريجه ص ٢٠.

(٣) بهجة قلوب الأبرار ص ٦٤.

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٢٩/٧).

(٥) كتاب الكليات لأبي البقاء الكفوي ١ / ١١٠٥.

(٦) انظر: درء التعارض ٨ / ٣٦٧ - ٣٧١.

كما قرره سبحانه في كتابه في مواضع فلا يحتاج إلى دليل؛ بل هو أرسخ المعارف وأثبت العلوم وأصل الأصول»<sup>(١)</sup> كيف لا «وجوده سبحانه وربوبيته وقدرته أظهر من كل شيء على الإطلاق، فهو أظهر للبصائر من الشمس للأبصار، وأبين للعقول من كل ما تعقله وتقر بوجوده، فما ينكره إلا مكابر بلسانه وقلبه وعقله وفطرته وكلها تكذبه»<sup>(٢)</sup>.

### وقد دلّ على ما تقدم الكتاب والسنة والعقل:

#### أولاً: دلالة الكتاب:

جاء التنبيه إلى هذه المعرفة في مواضع من كتاب الله جل وعلا والتي منها ما يلي:

١- قوله تعالى ﴿ فَأَقَمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينَ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾<sup>(٣٠)</sup> مُبَيِّنِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾<sup>(٣١)</sup> [الروم].

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ: «يقول تعالى ذكره: فسدد وجهك نحو الوجه الذي وجهك إليه ربك يا محمد لطاعته، وهي الدين، ﴿ حَنِيفًا ﴾ يقول: مستقيماً لدينه وطاعته ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ يقول: صنعة الله التي خلق الناس عليها ونصبت «فطرة» على المصدر من معنى قوله: ﴿ فَأَقَمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴾ وذلك أن معنى ذلك: فطر الله الناس على ذلك فطرة.

(١) مجموع الفتاوى ٢ / ٧٢.

(٢) مفتاح دار السعادة ٢١٩.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل»<sup>(١)</sup>.  
وقد نقل الإمام ابن عبد البر<sup>(٢)</sup> إجماع أهل التفسير على أن المقصود  
بالفطرة: الإسلام، حيث يقول «أجمع أهل العلم بالتأويل على أن المراد بقوله  
﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ الإسلام، وهو المعروف عند السلف»<sup>(٣)</sup>.

وقوله: لا تبديل لخلق الله تحتل معنيين:

أحدهما: لا تبدلوا خلق الله فتغيروا الناس عن فطرتهم التي فطرهم الله  
عليها - فيكون خبراً بمعنى الطلب.

الثاني: أنه خبر على بابه أي: ساوى الله بين خلقه كلهم في الفطرة على  
الجبلة المستقيمة لا يولد أحد إلا على ذلك.<sup>(٤)</sup>

٢- قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ  
بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

و للمفسرين في المراد بالأخذ و الإِشهاد قولان:

الأول: ما جاءت به السنة من أن الله تعالى مسح على ظهر آدم عليه السلام،

(١) تفسير الطبري ٢٠ / ٩٧.

(٢) ابن عبد البر الحافظ الإمام أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم  
النمري القرطبي، ولد سنة ثمان وستين وثلاثمائة في ربيع الآخر، وساد أهل الزمان في  
الحفظ والإتقان، ولم يكن بالأندلس مثله في الحديث، له التمهيد شرح الموطأ والاستذكار  
مختصره والاستيعاب في الصحابة، مات سنة ثلاث وستين وأربعمائة عن خمس وتسعين  
سنة. انظر: طبقات الحفاظ ١ / ٤٣١، ٤٣٢.

(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ١٨ / ٧٢.

(٤) تفسير ابن كثير ٦ / ٥٠٠١.

فاستخرج منه ذريته، فأشهدهم على أنفسهم بربوبيته، فأقروا له بلسان المقال، وهذا قول جمهور المفسرين من أهل الأثر وجمع كبير من الصحابة التابعين وغيرهم.

الثاني: خلقهم على الفطرة، المتضمنة للإقرار بالخالق، والشهادة له بالربوبية، فالإشهاد والإقرار على هذا القول حاصلان بلسان الحال، لا بلسان المقال<sup>(١)</sup>.

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ «فأما نطقهم فليس في شيء من الأحاديث المرفوعة الثابتة، ولا يدل عليه القرآن، فإن القرآن يقول: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ فذكر الأخذ من ظهور بني آدم لا من نفس آدم، وذرياتهم يتناول كل من ولدوه وإن كان كثيرا، وقوله ﴿أَشْهَدَهُمْ﴾ يقتضي أنه هو الذي جعلهم شاهدين على أنفسهم بأنه ربهم، وهذا الإشهاد مقرون بأخذهم من ظهور آبائهم، وهذا الأخذ المشهود الذي لا ريب فيه، هو أخذ المني من أصلاب الآباء ونزوله في أرحام الأمهات، فالأخذ يتضمن خلقهم والإشهاد يتضمن هدايتهم إلى هذا الإقرار، فخلقوا حين ولدوا على الفطرة مقرين بالخالق شاهدين على أنفسهم بأن الله ربهم وخالقهم وأنهم عبيده المخلوقون له، وهذا الإقرار حجة لله عليهم يوم القيامة، ولهذا جميع بني آدم مقرون بهذا، شاهدون به على أنفسهم، والقول بإثبات الله أمر فطري ضروري لهم لا ينفك عنه مخلوق، وهو مما خلقوا عليه وجبلوا عليه، وجُعل علما ضروريا لهم لا يمكن لأحدٍ جحده»<sup>(٢)</sup>

فالله تعالى قد فطر خلقه على معرفته وتوحيده وأنه لا إله غيره، وهذا هو

(١) المرجع السابق، وانظر: تفسير الطبري ١٣/١٧٢، وأضواء البيان ٢/٤٢، والأدلة العقلية النقلية ص ١٩٩.

(٢) درء التعارض ٨/٤٨٤ - ٤٨٨ بتصرف.

الميثاق الذي أخذه الله على عباده كما جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ۗ﴾ (١٧٢).

وقول الخليفة: شهدنا على أنفسنا أي: أقررنا بربوبية الله جل جلاله وأنه خالقهم، فهم قد خلقوا على ذلك شاهدين على أنفسهم بهذا الإقرار معترفين به، ولذلك كان هو حجة الله على خلقه يوم القيامة، ولهذا قال سبحانه مذكراً لهم بذلك: ﴿أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ۗ﴾ (الأعراف) أي كراهة أن تحتجوا بغفلتكم يوم القيامة؛ لأن هذا الأمر الضروري الذي لا يغفل عنه بشر.

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتدياً به؟. قال فيقول: نعم، فيقول قد أردت منك أهون من ذلك، قد أخذت عليك وأنت في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلا أن تشرك بي»<sup>(١)</sup>.

وقال ﷺ: ( كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم قرأ ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠]<sup>(٢)</sup>.

فمعنى الفطرة هنا الإقرار بمعرفة الله تعالى الموجبة لتوحيده والاستقامة على دينه.

ولذلك جاء قوله ﷺ: «إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني في

(١) رواه البخاري (ح ٣٣٣٤) ومسلم (٢٨٠٥).

(٢) البخاري رقم (١٣٥٩)، ومسلم رقم (٢٦٥٨).

يومي هذا، كُلِّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلالًا، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالهم من دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً<sup>(١)</sup>»<sup>(٢)</sup>.

وهذا كله مما يؤيد القول بأن المراد بالميثاق الفطرة، لكن يبقى أن يقال إن ما ورد من آثار تؤيد القول الأول لا يمكن إغفالها أو إنكارها، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «الآثار في إخراج الذرية من ظهر آدم وحصولهم في القبضتين كثيرة لا سبيل إلى ردها وإنكارها، ويكفي وصولها إلى التابعين فكيف بالصحابة، ومثلها لا يقال بالرأي والتخمين»<sup>(٣)</sup> وقد قال جمع بالتواتر المعنوي لهذه الآثار<sup>(٤)</sup>.

٣ - ما جاء في جواب الرسل للكفار لما قالوا: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠].

وقد ذكر الحافظ ابن كثير أن قول الرسل ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ يحتمل أمرين:  
الأول: أفي وجوده شك؟.

الثاني: أفي إلهيته وتفردّه بوجوب العبادة له شك؟<sup>(٥)</sup>.

فيكون الرسل قد احتجوا على الكفار بحجتين:

الأولى: الفطرة، فإن قولهم ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ استفهام تقرير مفاده النفي،

(١) رواه مسلم (ح ٢٨٦٥).

(٢) تفسير ابن كثير ٦ / ٥٠٠.

(٣) أحكام أهل الذمة ٢ / ١٠٠٦.

(٤) انظر: فتح البيان للقنوجي ٥ / ٧١، معاني القرآن للنحاس ٣ / ١٠١، والسلسلة الصحيحة للألباني ٤ / ١٦٢. وانظر: الفطرة حقيقتها ومذاهب الناس فيها ص ٥٢٤ وما بعدها.

(٥) تفسير القرآن العظيم ٢ / ٥٢٦.



أي أن الله تعالى فوق الشك، و أن الشك فيه مما تنكره الفطر، و هذه الحجة داخلية نابعة من نفس الإنسان، فإن الفطر شاهدة بوجوده و مجبولة على الإقرار به، و الاعتراف به ضروري في الفطر السليمة.

والثانية: العقل، وذلك في قولهم ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، فإن هذا استدلال بالخلق على الخالق، و هذه الحجة خارجية، مأخوذة من دلالة الأثر على المؤثر، فإن شواهد الحدوث والخلق والتسخير ظاهر عليهما، فلا بد لهما من صانع وهو الله لا إله إلا هو خالق كل شيء وإله ومليكه<sup>(١)</sup>.

٤ - ومن ذلك أيضاً: أن هذه القضية لم تذكر في الكتاب كثيراً، وإنما اكتفى سبحانه بجعلها من باب المسلمات واحتج بها على وجوب إفراده بالعبادة، كما أنه لم يناقش الدهرية، وإنما اكتفى بتجهيلهم؛ لأن خطأهم معلوم لجميع الناس. قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤].

٥ - أن الرسل ابتدؤوا دعوتهم لأقوامهم بتوحيد الألوهية والعبادة ولم يدعوهم إلى توحيد الربوبية مما يبين أن إقرارهم به مستقر في نفوسهم، ولو لم يكن كذلك لقالوا لرسولهم: نحن لا نعرفه أصلاً فكيف يأمرنا<sup>(٢)</sup>.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «ليس في الرسل من قال أول ما دعا قومه: إنكم مأمورون بطلب معرفة الخالق فانظروا واستدلوا حتى تعرفوه. فلم يكلفوا أولاً بنفس المعرفة ولا بالأدلة الموصلة إلى المعرفة، إذ

(١) تفسير ابن كثير، ص ٢٠٠. وانظر: الأدلة العقلية النقلية ص ٢٠٠.

(٢) انظر: درء التعارض لابن تيمية ٣/ ١٢٩-١٣٠.

كانت قلوبهم تعرفه وتقربه وكل مولود يولد على الفطرة»<sup>(١)</sup>.

### ثانياً: دلالة السنة:

دلت السنة النبوية على ما دل عليه القرآن فمن ذلك:

١- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يَهُودَانَهُ أَوْ نَصْرَانَهُ أَوْ يَمَجْسَانَهُ»<sup>(٢)</sup>.

فإن قيل: ألا يلزم من استقرار معرفة الله تعالى في الفطرة عدم وقوع إنكار الخلق؟ والحاصل أنه واقع بالفعل، فكيف اجتمع إنكاره مع كونه معروفاً بالفطرة؟.

والجواب بأن نقول: إن هذا الاستشكال ومثله نابع من أن فطرة الإنسان لا تتغير ولا تتبدل والواقع أن إنكار وجود الله إنما نبع من المؤثرات التي تحيط بالإنسان وتؤثر عليه كما دل على ذلك الحديث: «فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه».

كما أنه قد يقال: إن التوجه إلى الله أمر فطري فلماذا عبد الناس في مختلف العصور والأزمان غيره؟.

فالجواب بأن نقول: الفطرة تدعو إلى معرفة الخالق والإقرار به، لكن الإنسان تحيط به مؤثرات تجعله ينحرف، كما سبق في قوله ﷺ: «فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»

وكذلك شياطين الجن والإنس تتخطفه من كل مكان، كما قال تعالى عن

(١) مجموع الفتاوى ١٦ / ٣٣٨.

(٢) تقدم تخريجه انظر: ص ٢٠.

إبليس: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِيَّاكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿٨٣﴾ [ص].

وليس المراد من الفطرة أن الإنسان حين ولادته يكون عابداً لله عارفاً بحقوقه موحداً له بحيث يدرك ذلك كله ويعرفه، فإن الله يقول ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً ﴾ [النحل: ٧٨] ونحن نعلم بالاضطرار أن الإنسان ليس عنده معرفة بهذا الأمر على التفصيل، ولكن ولادته على الفطرة تقتضى ذلك وتستوجبه بحسبها، ولذا احتاج إلى الرسل والتلقي عنهم وعبادة الله وفق نهجهم<sup>(١)</sup>.

والكتاب والسنة دلا على أن الخلق مفطور على دين الله الذي هو معرفة الله والإقرار به، فهذا هو موجب فطرتهم، ولا ينكر ذلك إلا مكابر جاحد كفرعون ومن نهج نهجه.

### ثالثاً: دلالة العقل:

دل العقل على أن الإنسان يعرف ربه بفطرته ومن ذلك:

#### (١) ترجيح النافع على الضار:

إن الإنسان يجد في نفسه أنه مدفوع في فطرته إلى ترجيح النافع على الضار، والصحيح على السقيم، لاسيما أنه يحصل له كثير من المعتقدات والإرادات والدوافع التي منها الحق والباطل.

وكذلك نجد أن الطفل مدفوع بفطرته إلى لبن أمه، وفي هذا دليل على أن النفس مركوزة على قبول الحق النافع، وعلى هذا فإن الإقرار بوجود الخالق

(١) درء التعارض ٨ / ٤٦٠. وانظر: الأدلة العقلية الثقيلة ٢٠٤.

وربوبيته والإيمان به إما أن يكون هو الحق أو نقيضه، والتقدير الثاني فاسد قطعاً، فتعين الأول.

ومن هنا كانت كل نفس مفطورة على الاعتراف بالخالق والإقرار به استجابة لما هي مركوزة عليه من طلب كل ما هو حق ونافع والاعتراف به.<sup>(١)</sup>

(٢) زيادة العلم توجب الإقرار به.

إننا نجد أن الانسان كلما ازداد علماً وإرادة وأخلاقاً وتفكيراً كلما ازداد معرفة بخالقه ومحبة له، وهذا دليل على أن النفوس مفطورة على الاعتراف به. وعلى هذا فإما أن يكون الإقرار بالخالق والإيمان والاعتراف به وربوبيته أكمل للناس علماً وقصداً، أو ضدها أكمل للناس، والثاني باطل قطعاً، فلا بد أن تكون الفطرة مقتضية للإيمان وربوبيته وسائر خصائصه سبحانه.<sup>(٢)</sup>

### (٣) شعور النفس وإرادتها:

أن النفس إذا كانت لا تخلو من الشعور والإرادة فإن من الممتنع أن تكون غير شاعرة بوجوده وعدمه، أو محبته وعدمها، إذ لازم ذلك كون ذلك ليس من لوازم وجودها، وهذا باطل فلا بد وأن تكون شاعرة به عالمة وربوبيته ضرورة، إذ أن ذلك من لوازم وجودها، إذ لا يعقل أثر بغير مؤثر، وموجود بغير موجد.<sup>(٣)</sup>

### (٤) أن من الممتنع أن يكون الناس فطروا على غير ربوبيته لعدة أمور منها:

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص ٧٧. وانظر: التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية ١٢٤

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل ٨ / ٤٦٤.

أ- أن هذا خلاف الواقع.

ب- أن المخلوق ليس بأولى من المخلوق الآخر بأن يكون رباً وإلهاً، إذ أن هذا المعبود إما أن يكون حياً أو ميتاً. فإن كان ميتاً، فمن الممتنع أن يكون العباد مفظورين على عبادة الميت والإيمان بربوبيته.

وإن كان حياً فهو ليس بأولى من غيره الحي، وإلا للزم أن يكون كل حي ربا لكل حي، أو أن كل حي ربٌّ لآخر. إذ أن هذا يلزم منه التسلسل والدور في المؤثرين وهذا ممتنع<sup>(١)</sup>.

ولذلك بعث الله الرسل وأنزل الكتب ليكمل بها الفطرة ويذكرها ويوجهها إلى ما هو مركز فيها من معرفة الله والإقرار به.

(٥) معرفته سبحانه من الأمور الضرورية:

دل العقل على أن معرفة الله من العلوم الضرورية التي لا تحتاج كبير عناء في اكتسابها، بخلاف غيرها من العلوم؛ كالحساب مثلا مع حاجة الإنسان له، لكن الإنسان قد يغفل عنها في كثير من الأحيان لشبهة نظر أو لبس في فهم الدليل، بخلاف الفطرة فإنه علم ضروري لازم لكل أحد. ولذا جاء أسلوب القرآن في الاستدلال على وجود الله على سبيل التذكير: قال الله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [٣٦] ﴿[الأعراف]﴾ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ﴾ [ق: ٣٧] ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية: ٢١].

وكل ما في القرآن من دعوة إلى الله إنما هي تذكير للإنسان بما دلت عليه فطرته من وجوب عبادة الله سبحانه وتعالى، ومحاولة للعودة به إلى حالته

(١) انظر: المصدر السابق ٨ / ٤٥٦-٤٦٨، ٤٨٣.

الصحيحة من استقامته على الفطرة التي قد يطرأ عليها من الشبهات والشكوك والغفلة ما يبعدها عما أوجدت له، فإن الشياطين من الإنس والجن قد تجتال العباد وتنحيهم عما دلت عليه فطرتهم.

ولذلك ترى أن المشركين يحتجون بغفلتهم عن إقرارهم بعبودية الله. قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ ﴿١٧٢﴾ [الأعراف]، أو يحتجون بشرك آبائهم ومتابعتهم على ضلالهم؛ لأن العادة جرت على أن يسلك الرجل مسلك أبيه، فيريه بما معه من حق أو باطل، ولذلك لا يقبل الله منهم هذا الاحتجاج لكونه فطرهم على معرفته والإقرار به<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: المصدر السابق ٤٨٩ وما بعدها.

## المبحث الثاني: دليل الخلق

يراد بدليل الخلق: الاستدلال بوجود المخلوق على وجود الخالق ووجوب عبادته.

### ودليل الخلق ينبنى على مقدمتين ونتيجة:

المقدمة الأولى: أن هذه الموجودات مخلوقة موجودة بعد أن لم تكن موجودة.

المقدمة الثانية: وهي كل مخلوق لا بد له من خالق، وكل موجود لا بد له من موجد.

إن وجود الموجودات بعد العدم، وحدثها بعد أن لم تكن، يدل بدهة على وجود من أوجدها وأحدثها، ولا بد أن يكون هذا الموجد متصفاً بصفات الربوبية والألوهية.<sup>(١)</sup>

وهذه الدلالة أظهر دلائل الربوبية، وما من شك أن العلم بهذا حاصل بالضرورة، من طريقي الحس والخبر الصادق.<sup>(٢)</sup> ولذا نجد أن الله جل وعلا أكثر من ذكر هذا الدليل في كتابه العظيم ليبرهن لهم على استحقاقه للعبادة وحده لا شريك له، كما أنه هو وحده المتفرد بالخلق والملك والتدبير، ولهذا نجد أن الله جل ذكره بين هذا النوع من الأدلة بأساليب متنوعة وبذكر مظاهر من الخلق متعددة، فتارة يستدل جل وعلا عليه بتفرده بإيجاد الموجودات من عدم مبينا بالغ قدرته على إعادتها، وتارة يستدل بتفرده بتدبير هذا الكون

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل ٣/ ١١٨ وما بعدها.

(٢) انظر: الأدلة العقلية النقلية / ٢١٧.

وجميع المخلوقات فلا راد لأمره ولا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، وتارة يستدل بتفرد سبحانه وتعالى بالقوة والسلطان وإسداء نعمه على خلقه وبسطه للأرض وتهيئته لها وتسخيرها لما فيه للإنسان، وتارة يستدل بأفعاله جل شأنه من خلق المخلوقات من السموات والأرض والناس والدواب وغيرها، وكثيرا ما يأمر بالنظر في مآلات المعاندين والمكذبين وكيف فعل بهم، وتارة يستدل بخلق الإنسان وما مر به من أطوار وما ينتظره من مآل، كل ذلك وغيره كثير يستدل به سبحانه وتعالى على عظيم خلقه وقدرته.

لكن تتبع ذلك في كتاب الله ليس هذا محلا لذكره إذ المقصود الإشارة؛ وسأقتصر على ذكر دليلين عليهما يجمعان جميع الأدلة الواردة في كتاب الله جل جلاله وهما: دلالة العقل ودلالة الحس.

### فأما الأول: وهو دلالة العقل:

أجمل الله سبحانه وتعالى دلالة العقل على ذلك بأوجز عبارة وأبلغها قال الله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ (٣٥) أَمْ خُلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ [الطور: ٣٦]، وهذا دليل يرغم العقلاء على التسليم بأن هناك خالقا معبودا.

روى البخاري في صحيحة عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ (٣٥) أَمْ خُلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيِّطُونَ ﴿٣٧﴾ [الطور] قال: كاد قلبي أن يطير<sup>(١)</sup>.

(١) رواه البخاري (ح ٤٨٥٤).



قال الخطابي: «إنما كان انزعاجه عند سماع هذه الآية لحسن تلقيه معنى الآية ومعرفته بما تضمنته من بليغ الحجة فأدركها بلطيف طبعه، واستشف معناها بزكي فهمه»<sup>(١)</sup>.

وهذا استدلال بأمر مفحم لا يمكن إلا التسليم للحق أو الخروج عن موجب العقل.

وذلك لا يخلو من ثلاثة أمور:

(١) ﴿أَمْ خَلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ ﴿فَوَجِدُوا بِلَا موجد وهذا عين المحال، لأنه لا بد في الموجود من موجد، فإذا أنكروا الإله الخالق لم يجز أن يُوجدوا بلا خالق خلقهم.

(٢) ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ أم هم الخالقون لأنفسهم وذلك في الفساد أكثر وفي الباطل أشد، لأن ما لا وجود له كيف يوجد نفسه؟ وكيف يكون موصوفاً بالقدرة؟.

(٣) فإذا بطل الوجهان وبان استحالتهم تعين القسم الثالث وهو: أن الله هو الذي خلق الخلق فقامت الحجة بوجوب عبادته وحده دون من سواه.

ثم أردف سبحانه بدلائل تؤكد هذا الدليل وتبينه فقال: ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ ﴿٣٦﴾ وذلك شيء لا يمكنهم أن يدعوه بوجه من الوجوه، فهم منقطعون والحجة قائمة عليهم.

ففي هذا السؤال قطع الحجاج والخصام، إذ قد يوجد جاحد مكابر يقول: أنا خلقت نفسي كما زعم النمرود فيما أخبر عنه سبحانه بقوله: ﴿أَلَمْ

(١) الأسماء والصفات للبيهقي، شرح الحديث رقم (٨٠٢) وذكره القرطبي في تفسيره ١٧/١٥١.

تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَيُمِيتُ ﴿٢٥٨﴾ فماذا كان الجواب.؟ سؤال آخر أبان عجزه وأكذبه في زعمه الأول ﴿٢٥٨﴾ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ [البقرة: ٢٥٨] فكانت النتيجة أن بهت الذي كفر<sup>(١)</sup>.

فمن زعم أنه خلق نفسه، احتج عليه بعدم استطاعته خلق السموات والأرض.

وهذا الأمر يدركه من هو على الفطرة السليمة، فهذا أحد الأعراب يقول: «البعرة تدل على البعير والأثر يدل على المسير، فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج ألا تدل على العليم الخبير»<sup>(٢)</sup>.

وقال آخر: «سل الأرض: من فجر أنهارها، وغرس أشجارها، وأخرج ثمارها، وأغطش ليها، وأوضح نهارها، فإن لم تجبك حواراً أجابتك اعتباراً»<sup>(٣)</sup>.

وقال الشاعر:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد<sup>(٤)</sup>

(١) انظر: العقيدة في الله ٧١.

(٢) جواهر الأدب من خطبة قس بن ساعدة ٢/١٩، والبيان والتبيين ١/١٦٣، إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ١/٥٢.

(٣) والبيان والتبيين ١/٥٨. زهر الآداب وثمر الألباب ١/٣٠٨، الحيوان ١/٣٥ في خطبة للفضل بن عيسى الرقاشي.

(٤) الأنوار الزاهية في ديوان أبي العتاهية ص ٦٩-٧٠. وانظر: المستطرف في كل فن مستظرف ١/١٦.

ولذلك ألزم الله المشركين بهذا التوحيد على أن يقرّوا ويعترفوا بتوحيد الإلهية.

قال تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُم مِّنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت]

ومما يذكر عن أبي حنيفة قوله لمن أنكر وجود الله: ( ما تقولون في رجل يقول لكم: رأيت سفينة مشحونة بالأحمال، مملوءة من الأثقال، قد احتوشتها في لجة البحر أمواج متلاطمة، ورياح مختلفة، وهي من بينها تجري مستوية ليس لها ملاح يجريها، ولا متعهد يدفعها، هل يجوز في العقل؟ قالوا: هذا شيء لا يقبله العقل، فقال أبو حنيفة رَحِمَهُ اللهُ: يا سبحان الله إذا لم يجوز في العقل سفينة تجري في البحر مستوية من غير متعهد ولا مجر، فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف أحوالها، وتغير أعمالها، وسعة أطرافها، وتباين أكنافها من غير صانع ولا حافظ؟ فبكوا جميعاً، وقالوا: صدقت وتابوا<sup>(١)</sup>.

وقال بعض الحكماء: لو لم يكن للعالم صانع لكان أضيع ضائع، هل رأيت مصنوعاً بلا صانع، وسقفاً مرفوعاً بلا رافع، وهل ينفي الصانع إلا جاحد أو مكابر؟!.

### الثاني: دليل الحس:

هذا الدليل يمكن حصره في قسمين كما أخبر سبحانه:

أحدهما: النظر في الآفاق.

والثاني: النظر في الأنفس.

(١) درء تعارض العقل والنقل ٣/ ١٢٧، وتفسير الرازي ١/ ٢٥٥. وانظر: العقيدة في الله ٧٠

قال تعالى ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [٥٣] [فصلت].

وسأقتصر على مثال لكل منهما.

### أولاً: النظر في الآفاق:

أمر الله بالتفكر في الكون والنظر في الآفاق في آيات عديدة متنوعة في العرض وفي الأسلوب، فمن ذلك قوله سبحانه وتعالى: محتجاً على المشركين: ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ؕ أَلَيْسَ اللَّهُ بِذِي هِمٍّ لَّهُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ [٦٠] ﴿ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ؕ أَلَيْسَ اللَّهُ بِذِي هِمٍّ لَّهُمْ أَكْثَرُ هِمًّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [٦١] ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ؕ أَلَيْسَ اللَّهُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [٦٢] ﴿ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ؕ أَلَيْسَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [٦٣] ﴿ أَمَّنْ يَبْدُوُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ؕ أَلَيْسَ اللَّهُ بِذِي هِمٍّ لَّهُمْ أَكْثَرُ هِمًّا ﴾ [٦٤] ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [٦٥] ﴿ بَلِ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴾ [٦٦] [النمل].

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [١٩٠] [آل عمران].

فقد أمر الله العباد في هذه الآيات بالنظر في هذه المخلوقات والاعتاظ والاعتبار، بل أمرهم سبحانه بالسير ليعقلوا بقلوبهم وليتعضوا بحال تلك

القرى الخاوية.

وقال سبحانه: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [العنكبوت]

قال ابن سعدي - رَحِمَهُ اللَّهُ: «(قُلْ) لهم، إن حصل معهم ريب وشك في الابتداء: (سِيرُوا فِي الْأَرْضِ) بأبدانكم وقلوبكم (فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ) فإنكم ستجدون أمما من الأدميين والحيوانات، لا تزال توجد شيئا فشيئا، وتجدون النبات والأشجار، كيف تحدث وقتا بعد وقت، وتجدون السحاب والرياح ونحوها، مستمرة في تجدها، بل الخلق دائما في بدء وإعادة، فانظر إليهم وقت موتهم الصغرى - النوم - وقد هجم عليهم الليل بظلامه، فسكنت منهم الحركات، وانقطعت منهم الأصوات، وصاروا في فرشهم ومأواهم كالميتين، ثم إنهم لم يزالوا على ذلك طول ليلهم، حتى انفلق الإصباح، فانتبهوا من رقدتهم، وبعثوا من موتتهم، قائلين: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور»<sup>(١)</sup>.

قال الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت] و«الآفاق» جمع أفق وهو الناحية، والله جل وعلا قد بين من غرائب صنعته، وعجائبه، في نواحي سماواته وأرضه، ما يتبين به لكل عاقل أنه هو الرب المعبود وحده. كما أشرنا إليه، من الشمس والقمر والنجوم والأشجار والجبال، والدواب والبحار، إلى غير ذلك.

(١) تفسير السعدي ١ / ٦٢٨.

وبين أيضا أن من آياته التي يريهم ولا يمكنهم أن ينكروا شيئا منها: تسخيرهم لهم الأنعام ليركبوها ويأكلوا من لحومها، ويتنفعوا بألبانها، وزبدها وسمنها، وأقطها ويلبسوا من جلودها، وأصوافها وأوبارها وأشعارها، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾﴾<sup>(١)</sup>.

### الثاني: التفكير في الأنفس:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «الاستدلال على الخالق بخلق الإنسان في غاية الحسن والاستقامة، وهي طريقة عقلية صحيحة، وهي شرعية دل القرآن عليها وهدى الناس إليها»<sup>(٢)</sup> وأكثر سبحانه من ذكرها في كتابه وأمر بالتفكير في خلق الإنسان والنظر في أطوار خلقه وعظيم إبداعه وتسخير ما في الكون له، فقد جعل الأرض بساطاً والجبال أوتادا وألان له الحديد وقرب له البعيد وسخر له ما فيها من نبات ومعادن ومخلوقات، بل جعله سبحانه هو سيد هذا الأرض، ذكر ذلك سبحانه في كتابه بأساليب مختلفة وطرق متعددة، ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس] بل لقد لفت سبحانه نظر رسوله الكريم إليه في أول آية أنزلها عليه فقال ﴿عَلَّمَكَ﴾ ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾﴾ [العلق] وأنكر سبحانه على من ترك التبصر والتفكير في خلق النفس الإنسانية، فقال ﴿عَلَّمَكَ﴾ ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الذاريات].

(١) أضواء البيان - ٦ / ٣٧٦.

(٢) النبوات ١٠ / ٨١. وانظر: الفتاوى ٤ / ٢٨٢.

قال في أضواء البيان: «أي من أعضاء وأجزاء وتراكيب وعدة أجهزة تبهر العقول في السمع وفي البصر وفي الشم وفي الذوق وفي الحس ومن داخل الجسم ما هو أعظم فحق أن يقسم بها. (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا) أي: بالقدرة الباهرة والعلم الشامل، وذكرها بالمعنى الثاني فإنه في نظري أعظم من المعنى الأول، وذلك أن القوى المدركة والمفكرة والمقدرة للأمور التي لها الاختيار ومنها القبول والرفض والرضى والسخط والأخذ والمنع فإنها عالم مستقل.

وإنها كما قلنا أعظم مما تقدم لأن الجانب الخلقى قال تعالى فيه ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧]، ولكن في هذا الجانب قال ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢] ومعلوم أن بعض أفراد الإنسان حملها بصدق وأداها بوفاء ونال رضى الله تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه.

فهذه النفس في تسويتها لتلقى معاني الخير والشر واستقبال الإلهام الإلهي للفجور والتقوى أعظم دلالة على القدرة من تلك الجمادات التي لا تبدي ولا تعيد والتي لا تملك سلبي ولا إيجاباً»<sup>(١)</sup>

بل قد صرح بعض العلماء بوجوب النظر في خلق الإنسان أخذاً من قوله ﷻ ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ [الطارق: ٥].<sup>(٢)</sup>

كما أنه قد جاء ذكر هذا الدليل إجمالاً كما في قوله ﷻ ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾

(١) أضواء البيان ٨ / ٥٣٩ - ٣٤٠.

(٢) أضواء البيان ٢ / ٣٣٨.

ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنْ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً أَزْوَاجًا يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ [الزمر].

وقال أيضا: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾ [نوح].

وجاء مفصلاً كما قال عجل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون] (١).

قال قتادة: «من تفكر في خلق نفسه عرف أنه إنما خلق ولينت مفاصله للعبادة» (٢).

فهذه الأدلة العقلية الشرعية من الآيات المتلوة والمرئية، تدل على تفرد سبحانه بالخلق وإدارة الكون، كما تدل على أن هذا الكون وما فيه مخلوق، والمخلوق لا بد له من خالق، ولهذا كانت الرسل تحتج بذلك على أقوامها، قال تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِئَ اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «نفس حدوث الحيوان والنبات والمعدن والمطر والسحاب ونحو ذلك معلوم بالضرورة، بل مشهود لا يحتاج إلى دليل، وإنما يعلم بالدليل ما لم يعلم بالحس وبالضرورة، والعلم بحدوث هذه المحدثات علم ضروري، لا يحتاج إلى دليل» (٣).

(١) انظر: أضواء البيان ٧ / ١٨٠.

(٢) تفسير ابن كثير ٤ / ٢٨٣. وانظر: الدر المنثور ٧ / ٦١٩.

(٣) درء التعارض ٧ / ٢١٩.



وليس شرطاً أن يقف كل أحد على حدوث كل شيء حتى يصدق بذلك؛  
بل إن ذلك غير ممكن كما قال ﷻ: ﴿ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا  
خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ تُخَذِلِينَ الْمُضِلِّينَ عَصُدًا ﴾ [٥١] [الكهف].

## المبحث الثالث: دليل العناية؛

يقصد بالعناية ظهور آثار الكمال في الخلق والتي تتجلى في إتقانه وإحكامه ودقة صنعه وترابطه.

### دليل العناية مبني على أصليين:

أحدهما: أن جميع المخلوقات التي ههنا موافقة لوجود الإنسان مهياً له. الثاني: أن هذه الموافقة وهذه الدقة وهذا الإحكام بالضرورة قد أوجد من قبل حكيم خبير مرید لعبادة الخلق له وتوحيدهم إياه<sup>(١)</sup>.

### فأما الأصل الأول:

وهو كون الموجودات موافقة لوجود الإنسان، فيتحصل اليقين به باعتبار موافقة المخلوقات لوجود الإنسان من الليل والنهار، والشمس والقمر، الأزمنة بفصولها والأمكنة باختلافها، وكثير من الحيوان والنبات والجماد وجزئيات كثيرة مثل الأمطار والأنهار والبحار، وبالجملة كل ما في هذه الأرض وغيرها من مخلوقات فهي موافقة لخلق الإنسان، وكذلك أيضاً تظهر العناية في البدن، كما أن معرفة منافع الموجودات داخله في هذا الجنس، وكلما كان الوقوف على منافع الموجودات وحكمها والغاية التي وجدت لأجله أطول وأكثر تأملاً، كان الوقوف على هذه الدلالة أتم.

ويمكن القول بأن هذا كله وغيره يمكن جمعه في ثلاث محاور كما ورد في

القرآن الكريم:

(١) انظر: دلائل التوحيد القاسمي ٣٣ - ٣٦ وبيان تلبس الجهمية ١ / ١٧٥،

## المحور الأول: الدقة والإتقان:

جاء ذكر ذلك في كتاب الله في عدة مواضع للفت انتباه المكلفين إلى عظيم قدرته سبحانه وتعالى ودقة خلقه وإيجاده، كما أنه جاء التعبير عنه بعدة ألفاظ منها: الإتقان قال سبحانه: ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النمل: ٨٨].

وجاء بلفظ سوّى: قال سبحانه ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ﴾ [٣٧] ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى [٣٨] فَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى [٣٩] أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدْرِ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى [٤٠] القيامة وقال سبحانه: ﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى [٢] ﴾ [الأعلى] وتسوية الشيء: إتقانه وإحسان خلقه وإكمال صنعته، بحيث يكون مهياً لأداء وظيفته، ويكون مستوياً معتدلاً متناسب الأجزاء ليس بينها تفاوت يُجَلُّ بالمقصود.

وجاء بعبارات أخرى مختلفة الألفاظ وإن كانت مُتقاربة الدلالة كالإحسان ونفي التفاوت وإعطاء الخلق ونحوه، قال سبحانه: ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ [١٤] [المؤمنون] واستدل بذلك نبي الله إلياس محتجاً به على قومه مستدلاً بوجوب عبادته فقال سبحانه: ﴿ أَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴾ [١٢٥] اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأُولَى [١٢٦] [الصافات] وقال تعالى: ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴾ [٧] [السجدة].

وإذا كان الخلق يدل على وجود الله جل وعلا فإن دلالة الإتقان والعناية على وجوده أظهر وأبين، لأن العناية أخص من الخلق، إذ قد يُخلق الشيء بغير عناية وإتقان، وهذه العناية ظاهرة في الكائنات كلها. ولكنها في الكائنات الحية أظهر - وفي الإنسان على وجه الخصوص - أظهر وأبين قال سبحانه:

﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [٢١] ﴿ [الذاريات].

قال سبحانه: ﴿ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴾ [٣] ﴿ [الملك].

أي لا مجال لنظر ناقد أو نقد مقوم، بل فيه من مظاهر الإتيان ما حير أولي الألباب، ووقفت عنده عيون الناظرين حائرة ذليلة لربها من عظم الدهشة بدقة الخلق وإتقانه وإحكامه.

ولقد بين الله سبحانه عنايته بهذا الكون وما حوى من مخلوقات: قال تعالى: ﴿ أَوْلَيْرَ الْإِنْسَانِ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾ [٧٧] ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ [٧٨] ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ [٧٩] ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ تُوقَدُونَ ﴾ [٨٠] ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ [٨١] ﴿ [يس].

وقال سبحانه: ﴿ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رُوسًا أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [٣١] ﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفًّا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرَضُونَ ﴾ [٣٢] ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [٣٣] ﴿ [الأنبياء] وقوله: ﴿ نَبَارَكُ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴾ [٦١] ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ [٦٢] ﴿ [الفرقان] وقوله: ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴾ [٢٤] ﴿ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴾ [٢٥] ﴿ [العنكبوت] والآيات في هذا المعنى كثيرة.

ورعاية الله لمخلوقاته وعنايته بهم وحفظه للإنسان في بطن أمه ثم بعد خروجه، ورعايته لسائر المخلوقات كما في آية الحج، وكما جاء في حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ

قال: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يَجْمَعُ خَلْقَهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نَظْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عِلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مَضْعَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَرْسِلُ اللَّهُ إِلَيْهِ الْمَلَكَ فَيَنْفِخُ فِي الرُّوحِ، وَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكُتُبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِي أَوْ سَعِيدٍ»<sup>(١)</sup>.

فهذه الآيات وغيرها تدل على عناية الله وخلق له هذا الكون؛ لما فيه من التنظيم الدقيق والتناسق في أجزاء الكون في أقصى غايات الدقة والتنظيم العجيب الذي حير أولي الألباب.

### المحور الثاني: التقدير:

التقدير: هو خلق كل شيء بمقدار وميزان وترتيب وحساب دقيق بحيث يتلاءم مع مكانه وزمانه، وبحيث يتناسق مع غيره من الموجودات القريبة منه والبعيدة عنه.

فإذا كان الإتقان والعناية إعطاء كل شيء من الخلق والتصوير ما يؤدي به وظيفته على الوجه المناسب له، فإن التقدير أن يكون بالقدر الذي ينفع به نفسه ولا يضر غيره ولا يصطدم بالمخلوقات الأخرى، وذلك يتم إذا ما وضع في مكانه الملائم وزمانه المناسب، وبالكم الذي يصلح ولا يفسد، وعلى الكيفية التي يتحقق بها التناسق والتوازن بين وحدات الكون وأجزائه وينتظم بها سير الوجود.

وهذا التقدير ظاهرة عامة في جميع مخلوقات الله كما قرر سبحانه هذه الحقيقة في كتابه، قال تعالى: ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾<sup>(٢)</sup> [الطلاق] وقال جل شأنه: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدْرِ مَعْلُومٍ﴾<sup>(٣)</sup> [الحجر].

(١) رواه البخاري (ح ٣٢٠٨) ومسلم (ح ٢٦٤٣).

وقال سبحانه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ [الفرقان].

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللهُ: «وقوله: ( فقدَره تقديرًا ) يقول: فسوّى كل ما خلق، وهَيَّاهُ لما يصلح له، فلا خلل فيه ولا تفاوت»<sup>(١)</sup>.

قال ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: «(فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا) أي: أعطى كل مخلوق منها ما يليق به ويناسبه من الخلق وما تقتضيه حكمته من ذلك، بحيث صار كل مخلوق لا يتصور العقل الصحيح أن يكون بخلاف شكله وصورته المشاهدة، بل كل جزء وعضو من المخلوق الواحد لا يناسبه غير محله الذي هو فيه»<sup>(٢)</sup>.

### المحور الثالث: الهداية:

الهداية من أظهر الأدلة الكونية على وجود الله جل وعلا، ويقصد بها في هذا المقام أن كل خلق من مخلوقات الله قد أهدى وجوده، وهدى إلى ما خلق من أجله، وأهدى الإلهام الفطري أو الغريزي الذي تتوجه به المخلوقات قاطبة إلى أداء دورها وتحقيق وظيفتها في هذه الحياة. قال ﷺ: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى] وقال: ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بِشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِمَعْلُومٍ عَمَّا تَشْرِكُونَ﴾ [النمل].

وقال سبحانه: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [٦٨] ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «المراد بالوحي ههنا: الإلهام والهداية، والإرشاد

(١) تفسير الطبري ١٩ / ٢٣٦.

(٢) تفسير السعدي ١ / ٥٧٧.

للنحل أن تتخذ من الجبال بيوتا تأوي إليها، ومن الشجر، ومما يعرشون، ثم هي محكمة في غاية الإتقان في تسديسها ورضّها، بحيث لا يكون في بيتها خلل، ثم أذن لها تعالى إذنا قدريا تسخيرياً أن تأكل من كل الثمرات، وأن تسلك الطرق التي جعلها الله تعالى مذلة لها، أي مسهلة عليها حيث شاءت من هذا الجو العظيم، والبراري الشاسعة، والأودية والجبال الشاهقة، ثم تعود كل واحدة منها إلى بيتها لا تحيد عنه يمناً ولا يسرة، بل إلى بيتها وما لها فيه من فراخ وعسل، فتبني الشمع من أجنتها وتقيء العسل من فيها، وتبيض الفراخ من دبرها، ثم تصبح إلى مراعيها»<sup>(١)</sup>.

وهذه الهداية عامة لا تتعلق بالمكلفين فحسب، وليست مقصورة على الكائنات التي تتحرك بالإرادة فحسب، ولكنها هداية مبثوثة في كل شيء في هذا الوجود لتحمل في طياتها أبلغ الأدلة على وجود الرب جل وعلا وبديع صنعه وتدبيره.

وقال سبحانه: ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَى ﴾ [طه].

قال ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: «(ثُمَّ هَدَى) كل مخلوق إلى ما خلقه له، وهذه الهداية العامة المشاهدة في جميع المخلوقات فكل مخلوق، تجده يسعى لما خلق له من المنافع، وفي دفع المضار عنه، حتى إن الله تعالى أعطى الحيوان البهيم من العقل، ما يتمكن به على ذلك.

وهذا كقوله تعالى: ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، ﴾ [السجدة: ٧] فالذي خلق المخلوقات، وأعطاهما خلقها الحسن، الذي لا تقترح العقول فوق حسنه،

(١) تفسير ابن كثير ٢ / ٧٠٠.

وهذا لمصالحها، هو الرب على الحقيقة، فإنكاره إنكار لأعظم الأشياء وجوداً، وهو مكابرة ومجاهرة بالكذب، فلو قدر أن الإنسان، أنكر من الأمور المعلومة ما أنكر، كان إنكاره لرب العالمين أكبر من ذلك، ولهذا لما لم يمكن فرعون، أن يعاند هذا الدليل القاطع، عدل إلى المشاغبة، وحاد عن المقصود»<sup>(١)</sup>

### و أما الأصل الثاني:

وهو: أن هذه الموافقة وهذه الدقة وهذا الإحكام بالضرورة قد أوجد من قبل حكيم خبير، وهذه قضية بديهية فطرية، لا يجحدها إلا مكابر، و بذلك تكون دلالاته في غاية القوة والحجية، حيث قامت على معلومات أولية بديهية، و مشاهدات حسية في متناول الجميع<sup>(٢)</sup>.

ومن تأمل هذا الكون وما فيه من مخلوقات محكمة، يجد أنه قد وضعت في موضعها بدقة وإحكام وعناية فائقة، موافقةً للمنفعة الموجودة، والغاية المطلوبة، حتى يرى أنه لو وجد بغير تلك الصفة، أو بغير ذلك الوضع، أو بغير ذلك القدر، لم توجد فيه تلك المنفعة، لأدرك على القطع أن لذلك خالقاً حكيماً أوجده، وأنه لا يمكن أن تكون قد وجدت اتفاقاً من غير موجد.

### ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

إذا ما طفت ببصرك وبصيرتك في هذا الكون العظيم وما حوى من مخلوقات؛ الشمس والقمر وسائر الكواكب، والليل والنهار، والأمطار والرياح والمياه، والأنهار والبحار، بل وجود الناس على اختلاف أصنافهم

(١) تفسير ابن سعدي ١/٥٠٦.

(٢) دلائل التوحيد لمحمد جمال الدين القاسمي / ٢٠٧.



وألوانهم وتنوع أعمالهم، ثم نظرت إلى الأرض فرأيتها قد هيئت لسكنى الناس وسائر الحيوانات البرية، والماء وكونه موافقاً لسكنى الحيوانات المائية، والهواء وحاجة الجميع له، والماء وعدم استغناء مخلوق عنه، وأنه لو اختل شيء من هذا الخلقة والبنية لاختل وجود هذه المخلوقات، من أدرك ذلك بعين البصر والبصيرة علم على القطع أنه لا يمكن أن تكون هذه الدقة والإحكام والإتقان قد وجدت من غير موجد. لماذا؟.

(١) لأننا إذا رأينا مسكناً قد هُيئَ على ملائمة جميع ما يحتاجه الإنسان علمنا أن مُعداً قد أعدّه لذلك.

(٢) ولو رأينا مركباً سائراً نحو نقطة مقصودة لعلمنا أن قائداً يقوده. وهكذا هذا الكون من تأمله وجد أنه مخلوق من خالق حكيم عليم خبير حي قيوم بديع السموات والأرض.

وهذا الدليل من الطرق الشرعية التي أقامها الله لعبادة ليعرفوا منها أن لهم رباً عليماً حكيماً قد أوجدهم بعناية ودقة وإحكام وهيئاً لهم هذا الكون ليعبدوه وليوحدوه.<sup>(١)</sup>

ويمكن أن نلخص دليل الخلق بما يلي:

- كل مخلوق لا بد له من خالق.
- العدم لا يمكن أن يخلق شيئاً.
- فاقد الشيء لا يعطيه.
- التدبر في صفات المخلوق يدلنا على بعض صفات الخالق.

(١) انظر: في ذلك تلبس الجهمية ٢/ ١٧٢-١٨٢.

## المبحث الرابع: دليل الضرورة والاضطرار

### معنى الضرورة والاضطرار في اللغة:

قال الخليل: «الضرورة اسم لمصدر الاضطرار، تقول حملتني الضرورة على كذا، وقد اضطر فلان إلى كذا وكذا»<sup>(١)</sup>. والاضطرار الاحتياج إلى الشيء، وقد اضطره إليه أمر، والاسم الضرة، والضرورة كالضرة<sup>(٢)</sup>. والضرورة اسم من الاضطرار<sup>(٣)</sup>.

### معنى الضرورة والاضطرار في الاصطلاح:

قال الباقلاني في تعريفه: «الضروري ما لزم أنفس الخلق، لزوماً لا يمكنهم دفعه، والشك في معلومه»<sup>(٤)</sup>.

وحده بعض المعتزلة بأنه: «العلم الذي يحصل فينا، لا من قبلنا، ولا يمكننا نفيه عن النفس بوجه من الوجوه».

ويقول شيخ الإسلام: «حد العلم الضروري، وهو الذي يلزم نفس العبد لزوماً لا يمكنه معه دفعه عن نفسه»<sup>(٥)</sup>.

### الفرق بين الضرورة والاضطرار:

قال في الكشاف: «الضرورة: الحالة المحوجة إلى اللجأ، والاضطرار:

(١) العين ٧/٧، وانظر: لسان العرب ٤/٤٨٤.

(٢) انظر: لسان العرب ٤/٤٨٣، الصحاح ٢/٢٠، معجم مقاييس اللغة ٣/٣٦٠.

(٣) انظر: المصباح المنير ٢/٣٦٠.

(٤) الإنصاف ص ١٤.

(٥) درء التعارض ٦/١٠٦، وانظر: الدرء ٧/٤٣٠ وبيان تلبس الجهمية ١/٢٦٦.

افتعال منها. يقال: اضطره إلى كذا، والفاعل والمفعول: مضطر.

والمضطر الذي أحوجه مرض أو فقر أو نازلة من نوازل الدهر إلى اللجأ والتضرع إلى الله. وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هو المجهود. وعن السدي: الذي لا حول له ولا قوة. وقيل: المذنب إذا استغفر.

فإن قلت: قد عمّ المضطرين بقوله: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢] <sup>(١)</sup>. فالمضطر هو ذو الضرورة أي الحالة المحوجة إلى الأشياء العسرة الحصول. والاضطرار: افتعال من الضرورة لا من الضر. وتقديره: أنه نالته الضرورة فطاوعها. وليس له فعل مجرد وإنما يقال: اضطره كذا إلى كذا. وبناء على ما تقدّم فإن الضرورة: هي حاجة ملحة لا بد للإنسان منها. أما الاضطرار: فهو حاجة وقتية تنشأ من محنة أو ضائقة.

### دليل الضرورة على معرفة الله

دليل الضرورة يشمل أمرين مهمين:

أحدهما: ما قد جبل عليه الإنسان من معرفة الله وحاجته إليه من طلب اللجوء إليه والاستعانة به والتوكل عليه، والتوجه بالدعاء إليه، وهذه أمور ضرورية يجدها العبد في نفسه وقلبه ولا يجد السبيل إلى دفعها، بل كل الخلق يعلمون وجوده وقدرته وتصرفه بهذا الكون وتدييره له، إلا من شذ ولا عبرة بالشاذ، بل إن العبد يجد في قرارة نفسه الرغبة الملحة إلى التعرف على ربه وملء قلبه بالأنس به والشوق إليه والتلذذ بذكره وعبادته والتعرف على صفاته، فإذا

(١) الكشاف ٣ / ٣٨١. وانظر: التحرير والتنوير ١٠ / ٣٨٢.

لم يحصل له ذلك بقي قلبه فارغاً معذباً بفراق غذائه الروحي الذي هو أحوج إليه من الطعام والشراب<sup>(١)</sup>.

الأمر الثاني: أن هذا هو العلم الضروري الذي يلزم المخلوق لزوماً لا يمكنه الانفكاك عنه، وهذا هو حال أهل الإيمان والمعرفة بالله ﷻ، من أئمة المسلمين وسلف الأمة وحملة الحجة، فإنهم يخبرون بما عندهم من اليقين والطمأنينة والعلم الضروري بالله جل وعز، كما في الحكاية المحفوظة عن نجم الدين الكُبرى<sup>(٢)</sup> لما دخل عليه متكلمان، أحدهما أبو عبدالله الرازي والآخر من متكلمي المعتزلة وسألاه عن علم اليقين الذي يجده العبد في قلبه من معرفة الله جل ذكره وضرورة التوجه إليه، فقالا له: بلغنا أنك تعلم علم اليقين فقال نعم، أنا أعلم علم اليقين، فقالا: كيف يمكن ذلك ونحن من أول النهار إلى الساعة نتناظر، فلم يقدر أحدهما أن يقيم على الآخر دليلاً؟ فقال ما أدري ما تقولان، ولكن أنا أعلم علم اليقين، فقال: صف لنا علم اليقين، فقال: علم اليقين عندنا واردات ترد على النفوس تعجز النفوس عن ردها، فجعلنا يقولان: واردات ترد على النفوس تعجز النفوس عن ردها؟! ويستحسنان هذا الجواب<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: الفتاوى ١/٥٥، ٨/١٦٤-١٦٨، ٣٧٩، ومنهاج السنة ٥/٤١٤.

(٢) هو أبو الجناح نجم الدين أحمد بن عمر بن محمد الخوارزمي المحدث الصوفي، استشهد في قتال التتار سنة ٦١٨ هـ، وقيل إن تسميته بالكبرى: أن أنه فاق أقرانه بفهم المشكلات وحل العضلات، فلقبوه بالطامة الكبرى ثم حذفت الطامة، وبقيت الكبرى. انظر: السير ٢٢/١١١، وشذرات الذهب ٥/٧٩-٨٠.

(٣) انظر: هذه الحكاية في: سير أعلام النبلاء ٢٢/١١٢.

ومثلها تلك الحكاية المذكورة في قول أبي جعفر الهمداني لأبي المعالي الجويني<sup>(١)</sup> لما أخذ يقول على المنبر: كان الله ولا عرش، فقال يا أستاذ: دعنا من ذكر العرش وأخبرنا عن الضرورة التي نجدها في قلوبنا، فإنه ما قال عارف قط «يا الله» إلا وجد من قلبه ضرورة تطلب العلو، لا تلتفت يمناً ولا يسرة فكيف ندفع هذه الضرورة عن قلوبنا؟ قال: فلطم أبو المعالي على رأسه، وقال: حيرني الهمداني حيرني الهمداني ونزل<sup>(٢)</sup>.

### دليل الاضطرار:

الأصل في هذا الدليل قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِنَّكُمْ لَعَمَّعُ اللَّهُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

قال الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ: «فهذه المذكورات التي هي إجابة المضطر إذا دعا، وكشفُ السوء وجعلُ الناس خلفاء في الأرض من خصائص ربوبيته جل وعلا، ولذا قال بعدها: ﴿أَنَّكُمْ لَعَمَّعُ اللَّهُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾».

فتأمل قوله تعالى: ﴿أَنَّكُمْ لَعَمَّعُ اللَّهُ﴾ مع قوله: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ تعلم أن إجابة المضطرين إذا التجؤوا ودعوا وكشفُ السوء عن المكرويين، لا فرق في كونه من خصائص الربوبية، بينه وبين خلق السماوات والأرض وإنزالِ الماءِ وإنباتِ النَّبَاتِ، وَنَضْبِ الْجِبَالِ وَإِجْرَاءِ الْأَنْهَارِ، لِأَنَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - ذكر الجميع بنسق واحد في سياق واحد، وأتبع

(١) هو إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن الإمام أبي عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني النيسابوري ولد سنة ٤١٩ هـ، وتوفي ٤٧٨ هـ انظر: السير ١٨/٤٦٨-٤٧٧.

(٢) انظر: الفتاوى ٤/٤٣-٤٤. وانظر: «الاستقامة» ١/١٦٧.

جميعه بقوله: ﴿أَءَلَهُ مَعَ اللَّهِ﴾.

فمن صرف شيئاً من ذلك لغير الله تَوَجَّهَ إِلَيْهِ الْإِنْكَارُ السَّمَاوِيُّ الذي هو في ضمن قوله: ﴿أَءَلَهُ مَعَ اللَّهِ﴾ فلا فرق البتة بين تلك المذكورات في كونها كلها من خصائص الربوبية<sup>(١)</sup>.

وقد تقدم أن الاضطرار حاجة وقتية تنشأ من محنة أو ضائقة، ولذا فكثير ما تنكشف الحجب عن الفطرة فتزول عنها الغشاوة التي رانت عليها عندما تصاب بمصائب أليم، أو تقع في مأزق لا تجد فيه من البشر عوناً، وتفقد أسباب النجاة، فكم من ملحد عرف ربه وآب إليه بسبب بلاء أصابه، وكم من مشرك أخلص دينه لله لضر نزل به. وكم من فاجر أناب إلى ربه لخطب ألم به.

### أقسام الناس فيه:

والناس فيه على ثلاثة أقسام:

قسم لا يلتجئون إليه ولا يدعونه، وهؤلاء هم شر الأقسام.

وقسم يلتجئون إليه ويدعونه؛ لكنهم عند كشف البلاء يشركون به، ومن هؤلاء: المشركون.

وقسم يلتجئون إليه ويدعونه ويخلصون له الدعاء والتوحيد، وهؤلاء هم أهل الإيمان وهم خير الأقسام<sup>(٢)</sup>.

قال سبحانه: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زِينٌ لِّلْمُسْرِفِينَ مَا

(١) أضواء البيان ٧ / ٤٠٥.

(٢) انظر: الفتاوى ١٤ / ٣٧٠-٣٧٢.

كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ [يونس: ١٢] لكن حال المؤمنين يختلف عن أولئك، فقد يكون من تمام النعمة والمنة عليهم ما ينزل بهم من مصائب ومحن تجعلهم يلتجئون إلى الله سبحانه، فيدعونه مخلصين له الدين ويرجونه لا يرجون أحداً سواه، وتتعلق قلوبهم به لا بغيره، فيحصل لهم من التوكل عليه والإنابة إليه، وحلاوة الإيمان وذوق طعمه، والبراءة من الشرك وأهله ما هو أعظم من زوال العسر وحصول اليسر، مما لا يستحضر تفصيله بال، أو يعبر عن كنهه مقال، ولكل مؤمن من ذلك نصيب<sup>(١)</sup>.

أدلة ما ذكر آنفاً:

سأذكر هنا بعض الآيات الدالة على هذا النوع من الأدلة وأقف معها بعض الوقفات:

(١) قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْكُمُ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يونس].

قوله: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس: ٢٢] أي موافقة لما يهونه من غير انزعاج ولا مشقة. ﴿وَفَرِحُوا بِهَا﴾ أي اطمأنوا بها.

(١) انظر: الفتاوى ١٠/٣٣٢-٣٣٣، ١٤/٣٧٠-٣٧٣، ٢٢/٣٨٦-٣٨٧. وانظر: أيضاً درء

فبينما هم كذلك إذ جاءتهم ريح عاصف شديدة الهبوب وجاءهم الموج من كل مكان فعرفوا أنه الهلاك فانقطع حينئذ تعلقهم بالمخلوقين، وعرفوا أنه لا ينجيهم من هذه الشدة إلا رب العالمين، وحينئذ دعوا الله مخلصين له الدين، ووعدوا الله من عند أنفسهم بالإخلاص له بالعبادة كما أخلصوا له بالدعاء في هذا الموقف العصيب إن هو أنجاهم<sup>(١)</sup>.

(٢) ذكر الله في كتابه على صفة الاستفهام التقريري قوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَّرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدًا﴾ [النمل: ٦٢]. أي: هل يجيب المضطرب الذي أقلقته الكروب وتعسر عليه المطلوب، واضطر للخلاص مما هو فيه إلا الله.

ومن يكشف سوء أي البرء والشر والنقمة إلا الله وحده؟

ومن يجعلكم خلفاء الأرض بالتمكين والرزق والتناسل والتكاثر ونحو ذلك.

﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ أي قليل تذكركم وتدبركم للأمور التي إذا تذكرتوها ادكرتم ورجعتم إلى الهدى، ولكن الغفلة والإعراض، شامل فلذلك لا ارعويتم ولا اهتديتم<sup>(٢)</sup>.

(٣) الله جل شأنه هو المدعو عند الشدائد، المرجو عند النوازل ويدل على

ذلك مايلي:

قوله: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ [٦٧] أفأمنتُم أن يحسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصباً ثم لا

(١) تفسير ابن سعدي ٣/ ٣٤١. وانظر: تفسير ابن كثير ٤/ ١٩٥.

(٢) تفسير ابن سعدي ٥/ ٥٩٢.



تَجِدُوا لَكُمْ وَكَيْلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ [الإسراء] وقوله: ﴿ وَمَا يَكُم مِّنْ نَّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ ﴾ [النحل] (١).

أي إذا لجأتم إليه في البحر أنجاكم، ثم بعد خروجكم تكفرون به وتشركون، أو تظنون أن بخروجكم من البحر نلتم على الأمن من عقابه وعذابه وانتقامه، فقد يخسف بكم جانب البر، أو قد يرسل عليكم مطراً فيه حجارة [قاله مجاهد] كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴾ [القمر: ٣٤] ﴿ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ ﴾ أي ريح البحار التي تكسر المراكب وتغرقها (٢).

### من حوادث الرجوع إلى الله وقت الضرورة:

١- قصة عكرمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه ذهب فاراً من رسول ﷺ حين فتح مكة، فركب في البحر ليدخل الحبشة، فجاءتهم ريح عاصف، فقال القوم بعضهم لبعض: إنه لا يغني عنكم إلا أن تدعوا الله وحده، فقال عكرمة في نفسه: والله لئن كان لا ينفع في البحر غيره فإنه لا ينفع في البر غيره، اللهم لك علي عهد لئن أخرجتني منه لأذهبن فأضعن يدي في يديه فلا جدنه رؤوفاً رحيماً، فخرجوا من البحر، فرجع إلى رسول الله ﷺ فأسلم وحسن إسلامه (٣) (٤).

(١) انظر: ابن كثير ٦/٢١٣.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٥/٩٤.

(٣) انظر: ابن كثير ٥/٩٣.

(٤) أخرجه النسائي (ح ٤٠٦٧) وصححه الألباني، والطحاوي في شرح معاني الآثار أيضاً (ح ٥٠٦٤).

٢- قصة ابن حصين أخرج الترمذي رَحْمَةُ اللَّهِ عَنْ عَمْرَانَ بْنِ حَصِينٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي: «يَا حَصِينُ كَمْ تَعْبُدُ الْيَوْمَ إِلَهًا؟ قَالَ أَبِي: سَبْعَةٌ، سِتًّا فِي الْأَرْضِ وَوَاحِدًا فِي السَّمَاءِ. قَالَ: فَأَيُّهُمْ تَعْبُدُ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ؟ قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ، قَالَ يَا حَصِينُ: أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَسْلَمْتَ عَلِمْتَ كَلِمَتَيْنِ تَنْفَعَانِكَ، قَالَ: فَلِمَا أَسْلَمَ حَصِينُ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: عَلِمْنِي الْكَلِمَتَيْنِ اللَّتَيْنِ وَعَدْتَنِي، فَقَالَ: قُلِ اللَّهُمَّ أَهْمِنِي رَشِدِي وَأَعِزَّنِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي»<sup>(١)</sup>.

٢- رجل من كنانة جاء بإبل له مريضة إلى صنم يقال له سعد ليشفيها ويتبرك به، فلما قرب منه نفرت وتفرق شملها، فأنشد يقول:

أَتَيْنَا سَعْدًا لِنَجْمَعَ شَمْلَنَا

فَشَتَّتْنَا سَعْدَ فُلَانٍ نَحْنُ مِنْ سَعْدِ

وَهَلْ سَعْدٌ إِلَّا صَخْرَةٌ بِتَنُومَةٍ

مِنَ الْأَرْضِ لَا يُدْعَى بِغَيْرِيٍّ وَلَا رَشْدٍ<sup>(٢)</sup>

(١) سنن الترمذي (ح ٣٤٨٣) وقال حديث غريب وضعفه الألباني وأخرجه الترمذي في الدعوات (ح ١٤٨٧) وصححه، وأخرجه الطبراني في الدعاء (ح ١٣٩٣).

(٢) الملل والنحل ٢ / ٢٣٦.

### المبحث الخامس: معرفة الله بالله<sup>(١)</sup>؛

تقدم أن العباد قد فطروا على معرفة الله جل ذكره، وأن معرفته تدعوهم إلى التوجه إليه ومن ثم الإذعان والتوكل عليه، وتبين أن هذا الأمر راسخ في نفوس البشر منذ الولادة، ولذا فإن العبد إذا استمرت فطرته سليمة فإنه يعرف ربه من جراء ما جبل وفطر عليه، كما تقدم أنه يستدل بمخلوقاته سبحانه على وجوده، فالاستدلال به وبأفعاله على وجوده أولى وأحرى.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «إن ما سوى الله من الموجودات والأعيان والصفات يستدل بها عليه، سواء كانت حية أو لم تكن، بل ويستدل بالمعدوم؛ فلأن يستدل بالحى القيوم أولى وأحرى، وقد ورد في الدعاء المأثور عن الإمام أحمد الذي علمه لبعض أصحابه: «يا دليل الحيارى دلني على طريق الصادقين، واجعلني من عبادك الصالحين»<sup>(٢)</sup>.

وهذا يقتضى أن تسميته دليلاً باعتبار أنه دال لعباده، لا بمجرد أنه يستدل به، كما قد يستدل بما لا يقصد الدلالة والهداية من الأعيان والأقوال والأفعال. ولهذا يذكر عن بعضهم قوله: «عرفت الأشياء بربي، ولم أعرف ربي بالأشياء»، وقال بعضهم: «هو الدليل لي على كل شيء، وإن كان كل شيء -لئلا

(١) انظر: كتاب الفوائد لابن القيم ٣١٨ وما بعدها.

(٢) مجموع الفتاوى ١٧/٢، ١٨. قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «وقد أنكر طائفة من أهل الكلام: كالقاضي أبي بكر وأبي الوفاء بن عقيل أن يكون من أسمائه الدليل؛ لأنهم ظنوا أن الدليل هو الدلالة التي يستدل بها، والصواب ما عليه الجمهور؛ لأن الدليل في الأصل هو المعرف للمدلول، ولو كان الدليل ما يستدل به، فالعبد يستدل به أيضاً فهو دليل من الوجهين جميعاً» الفتاوى ٢٢/٤٨٣-٤٨٤.

يعذبني - عليه دليلاً».

وقيل لابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِمِ عَرَفْتَ رَبِّكَ؟ قَالَ: مِنْ طَلَبِ دِينِهِ بِالْقِيَاسِ  
لَمْ يَزَلْ دَهْرَهُ فِي التَّبَاسِ، خَارِجاً عَنِ الْمُنْهَاجِ، ظَاعِناً فِي الْإِعْوَجَاجِ، عَرَفْتَهُ بِمَا  
عَرَّفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَوَصَفْتَهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ<sup>(١)</sup>، فَأَخْبَرَ أَنَّ مَعْرِفَةَ اللَّهِ حَصَلَتْ  
بِمَعْرِفَةِ اللَّهِ وَهُوَ نُورُ الْإِيمَانِ<sup>(٢)</sup>.

وسئل عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللهُ «بِمِ نَعْرِفُ رَبَّنَا؟ قَالَ: بِأَنَّهُ عَلَى عَرْشِهِ  
بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ...»<sup>(٣)</sup>.

والاستدلال بالله تعالى على فعله وخلقه وإيجاده معلوم سمعاً وعقلاً،  
وبذلك يستدل على وجود الله، وأنه حيٌّ قيوم، لم يزل موصوفاً بأنه يتكلم بما  
شاء، وأنه فعال لما يشاء، وهذا قد قال العلماء الأكابر من أهل السنة والحديث،  
ونقلوه عن السلف والأئمة، وهو قول طوائف كثيرة من أهل الكلام<sup>(٤)</sup>.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «.. دلالة الخالق على المخلوق، والفعال على الفعل،  
والصانع على أحوال المصنوع عند العقول الزكية المشرقة العُلُويَّةِ، والفطر  
الصحيحة: أظهر من العكس.

فالعارفون أرباب البصائر يستدلون بالله على أفعاله وصنعه، إذا استدل  
الناس بصنعه وأفعاله عليه، ولا ريب أنهما طريقان صحيحان كل منهما حق،  
والقرآن مشتمل عليهما.

(١) الفتاوى ٣/٢.

(٢) الفتاوى ١٨/٢.

(٣) درء التعارض ٥٧/٢.

(٤) درء تعارض العقل والنقل ٥-٣/٢.

فأما الاستدلال بالصنعة فكثير، وأما الاستدلال بالصانع فله شأنه، وهو الذي أشارت إليه الرسل بقولهم: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ [إبراهيم: ١٠] أي أيشك في الله حتى يطلب إقامة الدليل على وجوده؟ وأي دليل أصح وأظهر من هذا المدلول؟ فكيف يستدل على الأظهر بالأخفى؟ ثم نبهوا على الدليل بقولهم: ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠]

وسمعت شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية - قدس الله روحه - يقول: كيف يطلب الدليل على من هو دليل على كل شيء؟. وكان كثيراً ما يتمثل بهذا البيت:

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل  
ومعلوم أن وجود الرب تعالى أظهر للعقول والفطر من وجود الليل والنهار، ومن لم ير ذلك في عقله وفطرته فليتهمهما<sup>(١)</sup>.

ومن ذلك استدلال عامر بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بذلك على هدايته بقوله:  
والله لولا الله ما اهتدينا ولا صمنا ولا صلينا  
فأنزلن سكينه علينا وثبت الأقدام إن لاقينا  
والمشركون قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أيينا<sup>(٢)</sup>  
وتمثل بها رسول الله ﷺ يوم الخندق<sup>(٣)</sup>.

«فإذا كان الحق الحي القيوم الذي هو رب كل شيء ومليكه ومؤصل كل

(١) مدارج السالكين ١/ ٧١.

(٢) رواه البخاري (ح ٦٣٣١). ومسلم (ح ١٨٠٧).

(٣) رواه البخاري (٦٦٢٠).

أصل ومسبب كل سبب وعلّة: هو الدليل والبرهان والأول والأصل الذي يستدل به العبد، ويفزع إليه، ويرد جميع الأواخر إليه في العلم: كان ذلك سبيل الهدى وطريقه، وكان المتوكل عليه في علمه وعمله القائل إنه لا حول ولا قوة إلا بالله مؤيداً منصوراً، فجماع الأمر: أن الله هو الهادي وهو النصير ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ (٣١) [الفرقان].

وكل علم فلا بد له من هداية، وكل عمل فلا بد له من قوة، والواجب أن يكون الرب أصل كل هداية وعلم، وأصل كل نصرّة وقوة، فلا يهتدي العبد إلا به ولا يستنصر إلا إياه.

والعبد لما كان مخلوقاً مربوباً مفطوراً مصنوعاً عاد في علمه وعمله إلى خالقه وفاطره، وربّه وصانعه فصار ذلك ترتيباً مطابقاً للحق، وتأليفاً موافقاً للحقيقة، إذ بناء الفرع على الأصل، وتقديم الأصل على الفرع: هو الحق، فهذه الطريقة الصحيحة في معرفة العبد لربه، الموافقة لفطرة الله وخلقه ولكتابه وسنة رسوله»<sup>(١)</sup> خلافاً للطريقة الفلسفية الكلامية، فإنهم ابتدأوا بنفوسهم فجعلوها هي الأصل الذي يفرعون عليه، والأساس الذي يبنون عليه، وجعلوا العلوم الحسية والبديهية ونحوها هي الأصل الذي لا يحصل العلم إلا به، ثم زعموا أنهم إنما يدركون بذلك الأمور الحسائية والأخلاق وغيرها من الأمور القريبة منهم، ثم بنوا على هذه الأصول التي وضعوها سائر العلوم<sup>(٢)</sup>.

(١) الفتاوى ٢/١٩-٢٠ بتصرف.

(٢) انظر: الفتاوى ٢/٢٠-٢١.

ومما يستدل به أيضاً قوله تعالى: ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَوْءًا وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ [الفتح]

حيث يستدل بها على أن الله يفعل برسوله كل أمر محمود يؤيده وينصره به.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ بعد أن ذكر أنواع المعرفة بالله: «وأعلم هؤلاء معرفة من عرف من كلامه، فإنه يعرف ربا قد اجتمعت له صفات الكمال ونعوت الجلال، منزّه عن المثال، بريء من النقائص والعيوب، له كل اسم حسن وكل وصف كمال، فعّال لما يريد، فوق كل شيء ومع كل شيء، وقادر على كل شيء، ومقيم لكل شيء، أمرناه متكلم بكلماته الدينية والكونية، أكبر من كل شيء، وأجمل من كل شيء، أرحم الراحمين، وأقدر القادرين، وأحكم الحاكمين. فالقرآن أنزل لتعريف عباده به، وبصراطه الموصل إليه، وبحال السالكين بعد الوصول إليه»<sup>(١)</sup> والله تعالى أعلم.

(١) الفوائد لابن القيم - ١ / ١٩٩.

## المبحث السادس: إجماع الأمم

من الأدلة الدالة على وجود الخالق جل وعلا ووجوب عبادته وتوحيده إجماع الأمم قاطبة سابقها ولاحقها على وجود الله سبحانه وتعالى سواء قولاً أو فعلاً أو عملاً، ولذا لو طفت الأرض لوجدت أن كلمة الله وكلمة الرب لا تخلو منها بقعة من الأرض.. ولذا لم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم، اللهم إلا شذاذ وحثالات لا يعتد لمثلهم بخلاف، ولا يؤبه لمثلهم بقول.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «معلوم أن أحداً من الخلق لم يزعم أن الأنبياء، والأحبار والرهبان والمسيح ابن مريم<sup>(١)</sup> شاركوا الله في خلق السموات والأرض. بل ولا زعم أحد من الناس أن العالم له صانعان متكافئان في الصفات والأفعال؛ بل ولا أثبت أحد من بني آدم إلهاً مساوياً لله في جميع صفاته. بل عامة المشركين بالله مقرون بأنه ليس له شريك مثله، بل عامتهم يقرون أن الشريك مملوك له، سواء كان ملكاً أو نبياً أو كوكباً، أو صنماً كما كان مشركو العرب يقولون في تليبتهم لبيك اللهم لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك.»<sup>(٢)</sup>

بل مع ذلك كانوا يقرون بأن الله خالق كل شيء حتى أنهم كانوا يقرون بالقدر أيضاً.

وقد ذكر أرباب المقالات ما جمعوا من مقالات الأولين والآخرين في الملل

(١) رغم اعتقاد النصارى هذا فإنهم يزعمون أنه بعد وجود المسيح أصبح مشاركاً لله في تدبير الخلق، وفي الأمر والنهي، وأنه سيحاسب البشر، ولم يذكروا أنه شارك الله في شيء من ذلك قبل وجوده، مع تسميتهم له رب وإطلاق صفات الله عليه.

(٢) الفتاوى ٩٦/٣. وانظر: الفتاوى أيضاً ١٤/٣٨٠، ٩١-٩٢، ٣/١٠٥.



والنحل، والآراء والديانات، فلم ينقلوا عن أحد إثبات شريك مشارك له في خلق جميع المخلوقات، ولا مماثل له في جميع الصفات، بل من أعظم ما نقلوا في ذلك قول الثنوية الذين يقولون بالأصلين النور والظلمة، وأن النور خلق الخير والظلمة خلقة الشر<sup>(١)</sup>.

فتبين من هذا أن ليس في العالم من ينازع في ربوبية الله جل وعز؛ وكونه خلق الخلق وأوجدهم فضلا عن وجوده؛ لكن غاية ما يقال: إن من الناس من جعل بعض الموجودات خلقاً لغير الله كالقدرية وغيرهم؛ لكنهم يقرون بأن الله خالق العباد وأفعالهم وإن قالوا إنهم خلقوا أفعالهم.

وكذلك أهل الفلسفة والمنجمون الذين يجعلون بعض المخلوقات مبدعة لبعض الأمور، هم مع الإقرار بالخالق يجعلون هذه الفاعلات من الكواكب وغيرها مخلوقة، ولا يقولون إنها غنية عن الخالق مشاركة له في الخلق<sup>(٢)</sup>.

(١) وبرغم أن الثنوية يقولون بوجود خالقين إلا أنهم يعتقدون أن إله الخير أقوى وأعظم من إله الشر التي هي الظلمة، انظر: الملل والنحل للشهرستاني ٢٤٤-٢٤٦.

(٢) انظر: الفتاوى ٣/ ٩٧-٩٨. واقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ١ / ٤٥٩.

## المبحث السابع: دلالة معجزات الأنبياء والكتب المنزلة

من أوضح دلائل الربوبية دلالة المعجزة التي جاءت بها الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، ومما يلحق بدليل المعجزات دلالة الكتب المنزلة على أنبيائه ورسله حيث تضمنت كلام الله جل وعلا الذي هو هدى ونور للقلوب والعقول والأبدان من اتبعها رشد ومن أعرض عنها هلك. وما زال بين أيدينا أعظم كتاب أنزل على رسول، القرآن العظيم الذي حوى كل خير وحذر من كل شر، فيه شفاء لما في الصدور والأبدان، من اتبعه اهتدى ومن أعرض عنه ضل وغوى، تحدى الله به أفصح العرب بأن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا، والكتب المنزلة هي جزء من المعجزات التي أوتيتها رسل الله ولذا كان الكلام على المعجزة متضمن الكلام على دلالة الكتب المنزلة. والكلام على هذا الدليل من عدة أوجه:

### أولاً: تعريف المعجزة:

المعجزة لغةً: أصل المعجزة مأخوذ من (العَجَز) «والعَجْزُ الضعف وعدم القدرة، تقول: عَجَزْتُ عن كذا، أَعْجَزُ بالكسر عَجْزاً وَمَعْجِزَةً وَمَعْجِزاً بالفتح» قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ﴾ [الحج: ٥١] قال الزجاج معناه ظانين أنهم يُعْجِزُونَا وفي التنزيل العزيز ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [العنكبوت: ٢٢] والمعنى ما أنتم بمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ بِمُعْجِزٍ، قال الأخفش: معناه ما أنتم بمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، أي: لا تُعْجِزُونَا هَرَباً فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ والمعجزة: واحدة معجزات الأنبياء<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية - دار العلم للملايين (٣/ ٨٨٣). وانظر: لسان العرب لابن منظور (٤/ ٢٨١٧).

و في القاموس: ومعجزة النبي ﷺ ما أعجز به الخصم عند التحدي والهاء للمبالغة.

المعجزة اصطلاحاً: اختلفت عبارات أهل العلم في تعريفهم للمعجزة على أقوال<sup>(١)</sup> يمكن جمعها بأن نقول المعجزة هي: أمر خارق للعادة يجري على أيدي الأنبياء للدلالة على صدقهم مع سلامة المعارضة.

إلا أنه مما ينبغي التنبيه عليه بأن إطلاق لفظ (المعجزة) على ما يأتي به النبي لإظهار صدقه في دعواه للنبوّة لم يرد في الكتاب ولا في السنة ولا على ألسنة الأئمة المتقدمين وإنما الذي ورد لفظ الآية، والبيّنة، والبرهان<sup>(٢)</sup>.

### ثانياً: وصف المعجزة في النصوص الشرعية:

وصفت المعجزة بأنها آيات بينات، والآية هي: العلامة، وجمع الآية أي وآيات وتأتي على ثلاثة معان:

أحدها: جماعة الحروف؛ قال أبو عمرو الشيباني: تقول العرب: خرج القوم بأيّتهم، أي: بجماعتهم.

ثانيها: الآية: العجب؛ تقول العرب: فلان آية في العلم وفي الجمال، قال الشاعر:

آية في الجمال ليس له في الـ حسن شبه وما له من نظير

فكأن كل آية عجب في نظمها والمعاني المودعة فيها

(١) انظر: التعريفات للجرجاني ص ٢٤٩، والإتقان للسيوطي ٣/٤، و شعب الإيمان لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ١/١٥٢، تحقيق: أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٠هـ-١٩٩٠م. شرح جوهرة التوحيد للقاني ص ١٣٣.

(٢) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (ص: ٢٧٠)

ثالثها: العلامة؛ تقول العرب: خربت دار فلان وما بقي فيها آية، أي: علامة، فكأن كل آية في القرآن علامة ودلالة على نبوة محمد ﷺ<sup>(١)</sup>.

ووصفت الآيات بأنها بينات، وهذا بليغ لظهورها وجلائها مما لا يدع لأحد بعد معاينتها أدنى شك في صدق ما جاءت به الأنبياء، قال تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [آل عمران: ١٨٤].

وتسمية المعجزات بالآيات البينات كثير في القرآن الكريم.

ومما جاء في كتاب الله في وصف المعجزات؛ بأنها بصائر كما في شأن إعجاز القرآن الكريم وتحدي ربنا جل وعلا أفصح العرب بأن يأتوا بمثله، قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّيكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٣] فلشدة حصول البيان بها نزل العلم بها منزلة المبصر بالعين، يقول البقاعي: «أي بمنزلة البصائر للقلوب بها تبصر الحق وتدرك الصواب، أو حجج بينة وبراهين نيرة تغني عن غيرها فالكلام خارج مخرج التشبيه البليغ»<sup>(٢)</sup>.

وبهذا وصفت معجزات موسى عليه السلام، قال تعالى ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَنْفِرَعَوْتُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢] «أي بينات ثابتاً أمرها علياً قدرها، يبصر بها صدقي»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن ٢ / ٢٦٤.

(٢) انظر: وح المعاني في تفسير القرآن العظيم للألوسي ٥ / ١٤٠.

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٤ / ٤٣٣).

### ثالثاً: كيف كانت معجزات الأنبياء دليلاً على تفرد الله جل جلاله بالربوبية:

معجزات الأنبياء من أظهر الدلائل على صدقهم وعلى نبوتهم وأنهم رسل من عند الله، كما أنها من أظهر الدلائل على ربوبية الله جل جلاله وتفرد به بالربوبية وذلك أن هذا الكون يسير وفق سنن إلهية تتكرر للإنسان حتى اعتادها وأصبحت من الأمور التي لا يجادل فيها عقل كطلوع الشمس من المشرق وتعاقب الليل والنهار، وتكون الماء من السحاب ونزوله على الأرض ونبات النبات بسببه، وبالجملة كون كل أمر له سبب كوني يعقله الإنسان، فإذا وردت المعجزة على غير العادة السالمة من المعارض دلت على أن ذلك الأمر إنما حدث من محدث قوي فعال لما يريد، وبالجملة يمكن أن نقول بأن هذا الدليل مبني على مقدمتين ونتيجة:

المقدمة الأولى: حدوث هذه الآيات المعجزة للبشر على خلاف معهودهم وما يدركونه من أسباب.

المقدمة الثانية: أن حدوثها على تلك الصفة يدل على أن لها مسبباً موجداً أوجدها على غير تلك الهيئة المعهودة.

النتيجة: لا بد وأن يكون الله جل جلاله هو الذي أوجد هذه الآيات على جهة تخالف ما سنه كونا.

قال الشيخ حافظ حكيمي رَحِمَهُ اللهُ: «معجزات الأنبياء كثيرة، وهي إما حسية تشاهد بالبصر أو تسمع كخروج الناقة من الصخرة، وانقلاب العصا حية، وكلام الجمادات، ونحو ذلك، وإما معنوية تشاهد بالبصيرة كمعجزة القرآن، وهذه إحدى الطرق القرآنية في إثبات الربوبية، ذلك أن المعجزة كما تدل على

صدق الرسل، فإنها تدل أيضاً على ربوبية المرسل وألوهيته، وذلك لما يأتي:

أولاً: أن المعجزة تدل بنفسها على ثبوت الخالق جل وعلا كسائر الحوادث، بل هي أخص من ذلك؛ لأن الحوادث المعتادة ليست في الدلالة كالحوادث الغريبة، ولهذا يُسَبِّحُ الرب عندها وَيُمَجِّدُ وَيُعَظِّمُ ما لا يكون عند المعتاد، ويحصل بها في النفوس ذلة من ذكر عظمتها ما لا يحصل للمعتاد، إذ هي آيات جديدة فتعطي حقها.

ثانياً: أنه إذا تقرر بها النبوة والرسالة فقد تقرر بها الربوبية كذلك، إذ لا يكون هناك نبي ولا رسول إلا وهناك مرسل، فالإقرار بالرسالة يتضمن الإقرار بالربوبية بلا نزاع.

ثالثاً: إن النبوة إذا ثبتت بالمعجزة، فقد صارت أصلاً في وجوب قبول جميع ما دعا إليه النبي من حقائق الربوبية والألوهية وغيرها.

وقد جاء القرآن بهذه الطريقة في قصة فرعون، فإنه كان منكرًا للرب جلا وعلا، فحاجه موسى في ذلك، ثم عرض عليه الحجة البينة التي جعلها دليلاً على صدقه في كونه رسول رب العالمين، وفي أن له إلهًا غير فرعون، فاستدل بالمعجزة على كلا الأمرين: ربوبية الله جل وعلا، وكونه مرسلًا من عنده تعالى.

قال تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَنْ أَخَذَتِ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوْلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ

فَإِذَا هِيَ تُعْبَانُ مُبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيضَاءٌ لِلنَّظِيرِينَ ﴿٣٣﴾ [الشعراء: ٢٣ - ٣٣] فقد أقام عليه الحجة أولاً بالآيات التي يستلزم العلم بها العلم بالخالق جل وعلا، فلما عاند وكابر رده إلى دلالة المعجزة التي هي أبلغ في الدلالة على المقصود ليثبت بها كلا الأمرين: الربوبية والرسالة.

وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ فإِنَّهُ يَسْتَجِيبُ لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنَّ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [هود: ١٣ - ١٤] فبين أن المعجزة تدل على الرسالة والوحدانية، فإذا أثبتت المعجزة أحدها فقد أثبتت الآخر<sup>(١)</sup>.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «المعجزات قد يُعلم بها ثبوت الصانع وصدق الرسول معاً»<sup>(٢)</sup>.

#### رابعاً: أمثلة على معجزات الأنبياء:

معجزات الأنبياء كثيرة منها:

(١) معجزة ناقة نبي الله صالح عليه السلام حيث طلب منه قومه ناقة من صخرة صماء وبصفات معينة، فدعا ربه فانفطرت الصخرة عن ناقة عظيمة على الصفة التي طلبوها فكانت آية من آيات الله الدالة على ربوبيته وعظمة وصدق رسله، قال تعالى حاكياً قول قومه: ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بَيِّنَاتٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾﴾ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾﴾ [الشعراء: ١٥٤ - ١٥٦].

(١) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة (ص: ١٢٧).

(٢) درء تعارض العقل والنقل ٥ / ٤٢.

(٢) جعل الله النار التي ألقى فيها خليل الله إبراهيم عليه السلام برداً وسلاماً عليه. قال تعالى: ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ (٦٨) قلنا ينارُ كوني برداً وسلاماً على إبراهيم ﴿٦٩﴾ [الأنبياء: ٦٨-٦٩].

(٣) أما موسى عليه السلام فقد أوتي تسع آيات معجزات قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَّخَلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَى مَسْحُورًا ﴾ (١٠١) [الإسراء: ١٠١].

«قال بعض أهل العلم: هذه الآيات التسع، هي: العصا، واليد، والسنون، والبحر، والظوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، آيات مفصلات.

وقد بين جل وعلا هذه الآيات في مواضع أخر. كقوله: ﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ (٣٢) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴿٣٣﴾ [الشعراء]، وقوله: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَّصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴾ [الأعراف: ١٣٠]، وقوله: ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ [الشعراء: ٦٣] وقوله: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجُرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُفْضَلَاتٍ ﴾ [الأعراف: ١٣٣] إلى غير ذلك من الآيات المبينة لما ذكرنا. وجعل بعضهم الجبل بدل «السنين» وعليه فقد بين ذلك قوله تعالى ﴿ وَإِذْ نُنَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ ﴾ [الأعراف: ١٧١] ونحوها من الآيات»<sup>(١)</sup>.

ومن تلك الآيات تحول العصا إلى حية عظيمة في حال ألقاها إلى الأرض، وكذا يده إذا أدخلها في درع قميصه ثم يخرجها فإذا هي بيضاء تتلأأ كالقمر من غير سوء، قال تعالى: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمُوسَى ﴾ (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأْتُ

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١٨ / ٣٥٤)



عَلَيْهَا وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَآرِبٌ أُخْرَى ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقَهَا يَمُوسَى ﴿١٩﴾ فَأَلْقَهَا فِإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴿٢١﴾ وَأَضْمَمُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ آيَةٌ أُخْرَى ﴿٢٢﴾ لِرَبِّكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ﴿طه: ١٧ - ٢٣﴾.

٤- ومن معجزات عيسى عليه السلام أنه يصنع من الطين ما يشبه الطيور ثم ينفخ فيها فتكون طيوراً بإذن الله، ويمسح الأكمه - وهو الأعمى - والأبرص فيبرأ بإذن الله، وينادي الموتى في قبورهم فيجيبون بإذن الله. قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾ [المائدة: ١١٠].

٥- وأما معجزات نبينا عيه الصلاة والسلام فأكثر من أن تذكر، ومن أعظمها القرآن العظيم الذي هو أعظم معجزات الرسل على الإطلاق. قال تعالى: ﴿قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨] وقال سبحانه ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣] ومن معجزاته ﷺ انشقاق القمر عندما سأل أهل مكة النبي ﷺ آية فانشق القمر شقين فراه أهل مكة وراه غيرهم. قال ﴿أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾﴾ [القمر: ١ - ٢] ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام الإسراء والمعراج. قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١] وهذا المعجزات كما تقدم تدل على ربوبية الله جل وعلا من الأوجه السابق ذكرها، كما أنها تدل على صدق نبوة الأنبياء. والله تعالى أعلم.

## المبحث الثامن : دليل التمانع

دليل التمانع من أدلة المتكلمين وعلى رأسهم المعتزلة استدلوا به على إثبات الخالق جل وعلا، وتبعهم في ذلك الأشاعرة واستدلوا عليه بقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءِالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [٢٢] [الأنبياء: ٢٢] وهذا الاستدلال غير مسلم لهم جملة وتفصيلاً، وذلك لأنه مبني عندهم على أن غاية ما جاء به الرسل هو توحيد الربوبية، ولذا أنزلوا الآية عليه، والصحيح خلاف ذلك، لأن العرب الذين بعث لهم الرسول ﷺ كانوا مقرين بالربوبية مؤمنين بها وكذا سائر الأمم التي بعثت لهم الأنبياء، ولذا كان كلهم مجمعين على الدعوة إلى توحيد العبادة لا الربوبية، وهذا بين ظاهر لكل من سبر سيرهم وقرأ القرآن<sup>(١)</sup>.

ودليل التمانع مبني على أنه يمتنع شرعاً وعقلاً وجود فاعلين تامي القدرة والإرادة في مفعول واحد هما عليه تاما القدرة والإرادة؛ لأن من كان تام القدرة والإرادة والاستقلال بالفعل وجب وجود المفعول له وحده، وإذا كان الآخر كذلك وجب وجود المفعول له وحده، وإذ قدر اثنان مريدان لأمر من الأمور فلا بد من أمرين:

إما أن ينفرد كل واحد منهما بخلقه وإيجاده، هذا ممتنع عقلاً؛ لما يعلم يقيناً من ترابط هذا الكون وانتظام أمره مما يدل على أن له رباً واحداً وموجداً واحداً لا شريك له ولا مثيل ولا نظير.

وإما أن يعلو بعضهم على بعض فلا يرضى كل منهما بوجود الشريك في

(١) انظر: شرح الطحاوية ص ٥٣.

الخلق، وهذا أيضاً ممتنع في حق الله؛ لأنه لو كان الأمر كذلك لفسدت السماوات والأرض لما سيقع من الشريكين من التنافس والاقتيال على الملك. قال الله تعالى: ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر] (١).

وقد ورد معنى هذا الدليل في كتاب الله قال - تعالى - : ﴿مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [المؤمنون].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فتأمل هذا البرهان الباهر، بهذا اللفظ الوجيز البين، فإن الإله الحق لا بد أن يكون خالقاً فاعلاً، يوصل إلى عابده النفع، ويدفع عنه الضر، فلو كان معه - سبحانه - إله، لكان له خلق وفعل، وحينئذ فلا يرضى بشركة الإله الآخر معه، بل إن قدر على قهره، وتفرده بالإلهية دونه فعل. وإن لم يقدر على ذلك انفرد بخلقه، وذهب به، كما ينفرد ملوك الدنيا عن بعضهم بعضاً بممالكهم.

وإذا لم يقدر المنفرد على قهر الآخر، والعلو عليه فلا بد من أحد أمور ثلاثة: إما أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه، وإما أن يعلو بعضهم على بعض. وإما أن يكون كلهم تحت قهر إله واحد، وملك واحد، يتصرف فيهم ولا يتصرفون فيه، ويمتنع من حكمهم عليه، ولا يمتنعون من حكمه عليهم، فيكون وحده هو الإله الحق وهم العبيد المربوبون المقهورون» (٢).

(١) انظر: المطالب العالية للفخر الرازي ١٣٥ / ٢. منهاج السنة ٣ / ٣٠٤ - ٣٠٥.

(٢) الصواعق المرسله ٢ / ٤٦٣ - ٤٦٤، وانظر: شرح الطحاوية ١ / ٣٨ - ٣٩، درء التعارض ٩ / ٣٥٥ - ٣٥٩.

فتبين بهذا أنه لا يمكن أن يجتمع فاعلان تامي القدرة والإرادة في مفعول واحد؛ لأنه يستلزم وجود النقيضين، فعند اختلافهما مثلاً في أن يريد أحدهما تحريك جسم وآخر تسكينه، أو يريد أحدهما إحياءه والآخر إماتته، فإما أن يحصل مرادهما؛ أو لا يحصل مراد واحد منهما، والأول ممتنع لأنه يستلزم الجمع بين المتناقضين، والثاني أيضاً ممتنع لأنه يلزم خلو الجسم عن الحركة والسكون، كما أنه أيضاً يستلزم عجز كل منهما والعاجز لا يكون إلهاً، وإذا حصل مراد أحدهما دون الآخر كان هذا هو الإله القادر، والآخر عاجز لا يصلح للإلهية، وإن كانت الآية سيقت للدلالة على عجز المعبودات من دون الله جل شأنه وتقرير وجوب عبادته وحده لكن يستدل بها على ذكر<sup>(١)</sup>.

فإذا كان الاستقلال بالفعل والغنى عن الغير من خصائص رب العالمين، كان التنزه عن شريك في الفعل والمفعول من خصائص رب العالمين، فليس في المخلوقات ما هو مستقل بشيء من المفعولات، وليس فيها ما هو وحده علة تامة، وليس فيها ما هو مستغنياً عن الشريك في شيء من المفعولات، بل لا يكون في العالم شيء موجود عن بعض الأسباب إلا ويشاركة سبب آخر له<sup>(٢)</sup>.

وهذا الدليل من أدلة المتكلمين التي يستدلون بها على وجود الرب جل وعلا، وهو دليل صحيح عقلاً<sup>(٣)</sup>.

وهناك أدلة استدل بها الفلاسفة والمتكلمون على إثبات وجود الله ﷻ إلا

(١) انظر: الفتاوى ٢٠ / ١٧٤ - ١٨٠. وانظر: شرح العقيدة الطحاوية ص ٨٧.

(٢) الفتاوى ٢٠ / ١٨١، وانظر: منهاج السنة النبوية ٢ / ١٨٢، ٣ / ٣٠٤ - ٣٣٤.

(٣) انظر: درء التعارض ٩ / ٣٥٤.

أنها لا تخلو من مأخذ، وقد نقدها كثير من أهل السنة لكونها لا تخلو من خلط الحق بالباطل<sup>(١)</sup> إلا أن ما في القرآن من الدلائل على وجود الله ووجوب عبادته مما تقدم آنفاً غنية عن غيره.

والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين  
والحمد لله رب العالمين.

---

(١) انظر: درء التعارض ٣/ ٧٢ وما بعدها. ومما ينبغي التنبيه عليه أن شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ إنما يذكر مثل هذه الأدلة لينقدها، لا ليقررها ويستدل بها.

## الخاتمة

وبعد حمد الله والثناء عليه بإتمام هذا البحث يطيب لي أن أخص أهم النتائج التي توصلت إليها:

(١) أهمية العناية بدلائل الربوبية حيث اعتنى الشارع بذكرها وألزمنا بالتفكير فيها.

(٢) أن دلائل الربوبية على نوعين ظاهر لكل أحد وقسم لا يطلع عليه إلا من هداه الله له.

(٣) تبين من خلال البحث أن أهل العلم أولوا هذا الجانب عناية تنبع من عناية الله لذكره في كتاب وذكر رسوله ﷺ له في سنته.

(٤) معرفة الله نوعان عامة وهي: الإقرار بوجوده وربوبيته، وخاصة لأهل الإيمان بشهود آلائه وكمال محبته وإجلاله.

(٥) أن سياق دلائل الربوبية في كتاب الله ليس مقصودا به إثبات ربوبيته جل شأنه، وإنما الاستدلال بذلك على تفردّه بالعبادة والتأله.

(٦) حاجة العباد إلى هذا النوع من الموضوعات ملحة للوصول إلى كمال العبودية.

(٧) دليل الفطرة من أظهر الأدلة التي لا يقدر أحد على فعله.

(٨) دليل الخلق من أظهر الأدلة وأبينها، وهو مبني على أصلين؛ أحدهما: أن كل المخلوقات وجدت بعد أن لم تكن، وثانيها: أن كل موجود لا بد له من موجد.

(٩) أكثر الله تعالى من ذكر دليل الخلق بأساليب متنوعة وطرق مختلفة

ومرد ذلك والله تعالى أعلم إلى دلالة العقل ودلالة الحس.

(١٠) دليل الحس على قسمين النظر في الآفاق، والتفكر في الأنفس.

(١١) دليل العناية مبناه على أصليين: أن جميع المخلوقات موافقة لوجود الإنسان، الثاني: أن هذه الموافقة بالضرورة أوجدت من موجد حكيم عليم.

(١٢) دليل الإتيان ورد في كتاب الله في ثلاثة محاور: الدقة والأتقان والهداية للمصالح والمنافع.

(١٣) دليل الضرورة يتضمن أمرين: عام وهو ما جبل عليه الإنسان من طلب اللجوء إلى الله والاستعانة به عند حلول المصائب، الثاني: خاص وهو العلم الضروري لازم للإنسان لا ينفك عنه وهو حال أهل الإيمان.

(١٤) تفرق الضرورة عن الاضطرار بأن الضرورة حاجة ملحة للإنسان لا تنفك عنه، أما الاضطرار فهو حاجة وقتية تنشأ عن محنة وضائقة.

(١٥) ينقسم الناس في حال الضرورة في لجوءهم إلى الله إلى ثلاثة أقسام: منهم من لا يلتجئ أصلاً، ومنهم من يلتجئ في حال الضرورة ويكفر في حال الرخاء، وخيرهم من يلتجئ في حال الضرورة ويخلص لله العبودية في كل حال، وهؤلاء هم المؤمنون.

(١٦) أن معرفة الله بالله دليل لا يدركه إلا الخواص من المؤمنين الكمل العارفون بالله وبأسماؤه وصفاته وأفعاله.

(١٧) أجمعت الأمم على وجوب الإقرار بربوبية الله والخضوع لملكه وقهره.

(١٨) دليل التمانع دليل عقلي شرعي دل على وجوب إفراد الله بالتوحيد.

## فهرس المراجع والمصادر

- (١) أحكام أهل الذمة أحكام أهل الذمة للعلامة محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم الناشر: رمادي للنشر، دار ابن حزم، الدمام - بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٨ - ١٩٩٧ تحقيق: يوسف أحمد البكري - شاعر توفيق العاروري.
- (٢) الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، سعود العريفي، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
- (٣) الاستقامة لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود - الطبعة الأولى، ١٤٠٣ تحقيق: د. محمد رشاد سالم.
- (٤) الأسماء والصفات للبيهقي الأسماء والصفات للبيهقي أحمد بن الحسين أبو بكر ٤٥٨ هجرية المحقق: عبد الله بن محمد الحاشدي الناشر: مكتبة السوادني جدة. الطبعة: الأولى.
- (٥) أضواء البيان أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للعلامة محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الناشر: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان الطبعة: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- (٦) اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ٧٢٨هـ دراسة وتحقيق: ناصر عبد الكريم العقل الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، السابعة، ١٤١٩هـ
- (٧) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به للقاضي أبي بكر الضبي الباقلائي، تحقيق وتعليق محمد زاهد الكوثري الطبعة الثانية،



مؤسسة الخانجي ١٣٨٢ هـ.

(٨) الأنوار الزاهية في ديوان أبي العتاهية طبعة مطبعة الآباء اليسوعيين  
بيروت ١٨٨٦ م

(٩) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات الى المذهب الحق من أصول  
التوحيد لمحمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي  
الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الثانية ١٩٨٧ م.

(١٠) البرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ط  
دار المعرفة سنة النشر: ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م

(١١) بهجة قلوب الأبرار وقررة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار  
للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي الطبعة: الرابعة الناشر: وزارة الشؤون  
الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية تاريخ  
النشر: ١٤٢٣ هـ.

(١٢) بيان تلبس الجهمية، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية  
الحراني أبو العباس تعليق محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، مطابع الحكومة  
السعودية بمكة المكرمة ١٣٩٢ هـ.

(١٣) البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر المعروف بالجاحظ، الناشر:  
دار صعب - بيروت الطبعة الأولى، ١٩٦٨. تحقيق: المحامي فوزي عطوي.

(١٤) التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور لمحمد الطاهر بن  
محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي الناشر: مؤسسة التاريخ العربي،  
بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م

(١٥) التدمرية لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني أبو

- العباس. الناشر: المطبعة السلفية، القاهرة، مصر الثانية، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م
- (١٦) تفسير ابن كثير لإسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.
- (١٧) تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير ابن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: لأولى، ١٤٢٠هـ
- (١٨) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧.
- (١٩) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، ت/ محمد النجار، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ١، ١٤١٥هـ.
- (٢٠) جمهرة اللغة محمد بن الحسن بن دريد أبو بكر المحقق: رمزي منير بعلبكي الناشر: دار العلم للملايين، سنة النشر: ١٩٨٧. الطبعة الأولى.
- (٢١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني أبو العباس الناشر: دار العاصمة - الرياض الطبعة الأولى، ١٤١٤ تحقيق: د.علي حسن ناصر، د.عبد العزيز إبراهيم العسکر، د. حمدان محمد.
- (٢٢) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب لأحمد الهاشمي. تحقيق: لجنة من الجامعيين - الناشر: مؤسسة المعارف - بيروت - الطبعة: الثانية
- (٢٣) الحيوان أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون الناشر دار الجليل ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م لبنان/ بيروت.

(٢٤) الدر المنثور لعبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي الناشر:  
دار الفكر - بيروت ١٩٩٣.

(٢٥) درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام: أحمد بن عبد الحلیم بن  
تیمية الحراني أبو العباس الناشر: دار الكنوز الأدبية - الرياض، ١٣٩١  
تحقيق: محمد رشاد سالم.

(٢٦) دلائل التوحيد، محمد جمال الدين القاسمي، دار النفائس، بيروت،  
ط: ١، ١٤١٢هـ

(٢٧) الرد على المنطقيين لشيخ الإسلام: أحمد بن عبد الحلیم بن تیمية  
الحراني أبو العباس الناشر: دار المعرفة - بيروت.

(٢٨) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين  
محمود ابن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية الناشر:  
دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٥هـ

(٢٩) زهر الآداب وثمر الألباب لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري  
القيرواني الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت لبنان - ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م  
الطبعة الأولى تحقيق: د. يوسف علي طويل.

(٣٠) السلسلة الصحيحة للشيخ محمد ناصر الدين الألباني الناشر: مكتبة  
المعارف - الرياض

(٣١) سنن الترمذي المسمى الجامع الصحيح لمحمد بن عيسى أبو عيسى  
الترمذي السلمي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت تحقيق: أحمد  
محمد شاكر وآخرون.

(٣٢) السنن الكبرى للنسائي: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي

الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ  
تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة.

(٣٣) شذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبد الحي بن أحمد العكري  
الدمشقي الناشر: دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

(٣٤) شرح العقيدة الطحاوية لصدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي  
العز الحنفي تحقيق: أحمد محمد شاكر الطبعة: الأولى الناشر: وزارة الشؤون  
الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد المملكة العربية السعودية.

(٣٥) شرح معاني الآثار المؤلف: أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن  
سلمة أبو جعفر الطحاوي الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة  
الأولى، ١٣٩٩ تحقيق: محمد زهري النجار.

(٣٦) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف إسماعيل بن حماد  
الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطا. ١٤٠٢ هـ. الشربتلي.

(٣٧) صحيح البخاري تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي المطبعة السلفية.

(٣٨) صحيح مسلم تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي طبعة: دار إحياء  
التراث العربي فيصل الحلبي.

(٣٩) الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعطلة لابن القيم، تحقيق د/ علي  
الدخيل الله، ط/ دار العاصمة الرياض ١٤٠٨ هـ.

(٤٠) طبقات الحفاظ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي أبو الفضل، دار  
الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ

(٤١) العقيدة في الله للدكتور عمر بن سليمان الأشقر طبعة مكتبة الفلاح

- (٤٢) فتح البيان في مقاصد القرآن لأبي الطيب صديق حسن القنوجي، تحقيق عبد الله الأنصاري طبعة إدارة إحياء التراث الإسلامي بقطر.
- (٤٣) الفطرة حقيقتها ومذاهب الناس فيها لعلي بن عبد الله بن علي القرني طبعة دار المسلم للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ.
- (٤٤) الفوائد لابن القيم: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله الناشر: دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الثانية، ١٣٩٣ - ١٩٧٣.
- (٤٥) كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي الناشر: دار ومكتبة الهلال تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي.
- (٤٦) كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي الناشر: دار ومكتبة الهلال تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي.
- (٤٧) كتاب الكلبيات لأبي البقاء الكفوي معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري.
- (٤٨) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت تحقيق: عبد الرزاق المهدي.
- (٤٩) لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة الأولى.
- (٥٠) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام لشيخ الإسلام: أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية الحراني، جمع الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رَحْمَةُ اللَّهِ الناشر: دار الوفاء

الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦ هـ.

- (٥١) مدارج السالكين للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، تعليق الفقي، طبعة: دار الكتب العلمية.
- (٥٢) المستطرف في كل فن مستظرف لشهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبهسي الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الثانية، ١٩٨٦ تحقيق: د. مفيد محمد قميحة.
- (٥٣) المصباح المنير لأحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ دراسة و تحقيق: يوسف الشيخ محمد الناشر: المكتبة العصرية.
- (٥٤) المطالب العالية من العلم الإلهي فخر الدين الرازي تحقيق أحمد حجازي السقا، الناشر دار الكتاب العربي.
- (٥٥) المعجم الكبير للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المتوفى ٣٦٠ هـ تحقيق وتخرّيج، حمدي عبد الحميد السلفي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بالعراق.
- (٥٦) معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر الطبعة: ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- (٥٧) مفتاح دار السعادة، للإمام ابن القيم: أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي، طبعة مؤسسة الأندلس للنشر والتوزيع - طليم - مصر. ١٤١٤ هـ.
- (٥٨) المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني المتوفى عام ٥٠٢ هـ بتحقيق محمد كيلاني ط / الحلبي ١٣٨١ هـ.
- (٥٩) الملل والنحل لمحمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني الناشر: دار المعرفة بيروت، ١٤٠٤ تحقيق: محمد سيد كيلاني.

- (٦٠) منهاج السنة النبوية لأحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة الحرانی أبو العباس الناشر: مؤسسة قرطبة الطبعة الأولى، ١٤٠٦ تحقيق: د. محمد رشاد سالم.
- (٦١) منهج شيخ الإسلام ابن تیمیة في تقرير عقيدة التوحيد للدكتور: إبراهيم بن محمد بن عبد الله البريكان الناشر: دار ابن القيم - دار ابن عفان سنة النشر: ١٤٢٥ - ٢٠٠٤
- (٦٢) نبذة في العقيدة الإسلامية للشيخ محمد بن صالح العثيمين ط مؤسسة ابن عثيمين الخيرية - دار ابن الجوزي.
- (٦٣) النبوات - لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة ط / دار الكتب العلمية ١٤٠٢ هـ.

## جدول المحتويات

الصفحة	الموضوع
١٣.....	ملخص البحث
١٧.....	خطة البحث
١٨.....	أهمية البحث:
١٩.....	منهج البحث:
٢٠.....	الدراسات السابقة:
٢٣.....	المطلب الأول: في تعريف الدلائل في اللغة والشرع
٢٣.....	أولاً: معنى الدليل في اللغة:
٢٣.....	ثانياً: معنى الدليل في الشرع:
٢٦.....	المطلب الثاني: تعريف توحيد الربوبية في اللغة والاصطلاح
٢٦.....	أولاً: تعريف التوحيد في اللغة:
٢٨.....	المطلب الثالث: أهمية دلائل ربوبية الله:
٢٨.....	تمهيد.....
٢٩.....	اعتراض وجوابه:
٣٥.....	تمهيد.....
٣٦.....	المبحث الأول: دليل الفطرة.....
٣٦.....	معنى الفطرة في اللغة:
٣٧.....	المراد بالفطرة في الاصطلاح الشرعي:
٣٨.....	الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة والعقل:
٣٨.....	أولاً: دلالة الكتاب:



- ٤٤..... ثانياً: دلالة السنة:.....
- ٤٥..... ثالثاً: دلالة العقل:.....
- ٤٩..... المبحث الثاني: دليل الخلق.....
- ٤٩..... دليل الخلق ينبنى على مقدمتين ونتيجة:.....
- ٤٩..... المقدمة الأولى: أن هذه الموجودات مخلوقة موجودة بعد أن لم تكن موجودة...٤٩
- ٤٩..... المقدمة الثانية: كل مخلوق لا بد له من خالق، وكل موجود لا بد له من موجد.٤٩
- ٥٠..... دلالة العقل:.....
- ٥٣..... دليل الحس:.....
- ٥٤..... أولاً: النظر في الآفاق:.....
- ٥٦..... الثاني: التفكير في الأنفس:.....
- ٦٠..... المبحث الثالث: دليل العناية:.....
- ٦٠..... دليل العناية مبني على أصليين:.....
- ٦٠..... الأصل الأول:.....
- ٦١..... المحور الأول: الدقة والإتقان:.....
- ٦٣..... المحور الثاني: التقدير:.....
- ٦٤..... المحور الثالث: الهداية:.....
- ٦٦..... الأصل الثاني:.....
- ٦٦..... أمثلة على ذلك.....
- ٦٨..... المبحث الرابع: دليل الضرورة والاضطرار.....
- ٦٨..... معنى الضرورة والاضطرار في اللغة:.....
- ٦٨..... معنى الضرورة والاضطرار في الاصطلاح:.....

- ٦٨..... الفرق بين الضرورة والاضطرار:
- ٦٩..... دليل الضرورة على معرفة الله
- ٧١..... دليل الاضطرار:
- ٧٢..... أقسام الناس فيه:
- ٧٣..... أدلة ما ذكر آنفاً:
- ٧٥..... من حوادث الرجوع إلى الله وقت الضرورة:
- ٧٧..... المبحث الخامس: معرفة الله بالله:
- ٨٢..... المبحث السادس: إجماع الأمم
- ٨٤..... المبحث السابع: دلالة معجزات الأنبياء والكتب المنزلة
- ٨٤..... أولاً: تعريف المعجزة:
- ٨٥..... ثانياً: وصف المعجزة في النصوص الشرعية:
- ٨٧..... ثالثاً: كيف كانت معجزات الأنبياء دليلاً على تفرد الله جل جلاله بالربوبية:
- ٨٩..... رابعاً: أمثلة على معجزات الأنبياء:
- ٩٢..... المبحث الثامن: دليل التمانع
- ٩٦..... الخاتمة
- ٩٨..... فهرس المراجع والمصادر
- ١٠٦..... جدول المحتويات